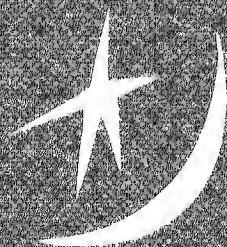


روبر اللیل



الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

بيروت ص ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١١ - ورقية الشروق
تلكم RHOROK 20175 LE
القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ورقية الشروق
تلكم 93091 SHROK UN

مجله علمی و ادبی



روبر الیل

هذه المجموعة سجل للحظات العمر الدابر ، فيها شيء
من شعر الشباب وأمشاج من شعر الكهولة والشيخوخة .
فاذا وجدت فيها شيئاً من التباين فمن هنا يأتي التباين .

مُقَدِّمَةٌ

أَظَلُّكَ فِي لَيْلِهَا قِيَامِي وَعَشْتُ فِي ضَجَّةِ الصُّمُوتِ
وَضَلُّ رَكْبُ الْوَرَى أَمَامِي فَلَا ثَبَاتٌ وَلَا ثُبُوتٌ
وَكُنْتُ أَخْشَى مِنَ الْكَلَامِ فَصَرْتُ أَخْشَى مِنَ السُّكُوتِ
ط. ا.

سبتمبر ١٩٨٠



رَاهِبُ اللَّيْلِ

عَاشِقُ الرُّوحِ مَسْتَهَامٌ ضَمُّهُ اللَّيْلُ وَالْأَلَمُ
كُلَّمَا اسْتَقْبَلَ السُّهَامُ غَالَطَ الدَّمْعُ وَابْتَسَمَ

راهبُ الليلِ لا ينامُ والجوى عنه لم ينم
عاشقُ الروحِ مُستهامُ ضمه الليلُ والألم
كلُّما استقبلَ السُّهامُ غالطَ الدمعَ وأبتسم

هكذا نحنُ في القِمَمِ
نَضْنَعُ الخُلْدَ والقيَمِ

إنما الحبُّ كبرياءُ تَصِلُ الأرضُ بالسُّماءِ
هاتِ ياليلُ ما تشاءُ

سَترانا مع الصِّباحِ عندما يُقْبِلُ الصِّباحُ
قد كَبَرْنَا على الجِراحِ
وَارْتَفَعْنَا على الأَلَمِ

هَمَسَ الوردُ للرياح وهي تَذُرُّهُ للرَّغَامِ
 قال هل يُسَكِّتُ الثَّوَاخَ صِيحَةَ الحَبِّ وَالسَّلَامِ
 أو تُرَى يَتَّهِي الصَّبَاحُ أو تُرَى يَخْلُدُ الظَّلَامُ
 وأَرَى الشَّمْسَ مِنْ بَعِيدٍ
 تَشْرُ الصُّبْحَ مِنْ جَدِيدٍ
 فَيَغْنِي لهُ الوجودُ فَرَحَةَ الحَبِّ والخُلُودِ
 وهويخُنُّ على الورودِ
 وإذا ما أتى الصُّبَاحُ سيرانا مع الصُّبَاحِ
 قد كَبَرْنَا على الجِرَاحِ
 وَارْتَفَعْنَا على الأَلَمِ
 لا تَقُلْ طَالَتِ الشُّجُونُ نحنُ أَقْوَى مِنَ الشَّجَنِ
 كُلُّ ما كَانَ أو يَكُونُ هَآنِ إِنْ نحنُ لم نَهْنِ
 نحنُ لا نَرْهَبُ المَمُوتَ نحنُ أَبْقَى مِنَ الزَّمَنِ
 ولنا الحَبُّ والحياةُ
 رَغَمَ ما تصنعُ الحياةُ
 وَخُطَانَا على الرِّمَالِ نُطْلِعُ الحَبَّ والجَمَالَ
 قَصَرَ اللَّيْلُ أم أَطَالَ
 سيرانا مع الصَّبَاحِ عندما ما يُقْبِلُ الصَّبَاحِ
 قد كَبَرْنَا على الجِرَاحِ
 وَارْتَفَعْنَا على الأَلَمِ



هي الأرضُ طَبَعَ في بَنِيهَا وَمَنْ تَكُنْ
جِبَلُتُهُ الْأُولَى تَرَاباً تَمَرُّدا
وَكَمْ ضَارِبٍ فِيهَا بَعْكَازِ تَائِهٍ
يُعَدُّ مِنَ الْمَوْتَى وَإِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

ميلادُ شاعر

مهدة إلى الملاح التائه شاعرنا الباقي علي محمود طه

١

إلى مثله تَضْبُو عذارى الخواطرِ
وفي يومه تَضْحُو سَكَارَى المَزاہِرِ
وفي كل هَمْسٍ حَوْلَ بعنائه ضَجَّةُ
وفي كلِّ معنى منه صرخةُ نائِرِ
أَلَمْ على الأيامِ يَسْقِي جَدِيدَها
وَيَبْنِي جَدِيداً فَوْقَ أَطْلالِ دَائِرِ
هو الشعرُ ما غَنَّى ربيعٌ، وما بَكَى
خريفٌ، وما اخْضَلَّتْ عيونُ الأزاهِرِ
تَرَاتِيلُ أنسامٍ، وتَسْبِيحُ جَدُولِ
وَأَنَّهُ مَوْجُوعٌ، ومَصْبَاحُ حائِرِ

أراق على وَجْهِ الصُّبْحِ ضِيَاءَهُ
وعَاقَرَهُ فِي اللَّيْلِ صَمْتُ الدِّيَاجِرِ
وَوَدَّتْ بَنَاتُ الزَّهْرِ لَوْ أَنَّ عَرَفَهَا
مِنْ النِّعَمِ الْقُدْسِيِّ سَبْحَةَ خَاطِرِ
وإنَّ جَمَالاً لَمْ تُسَجِّلْهُ رِيْشَةً
مِنْ الْفَنِّ نَهَبَ لِلْصُّوْفِيِّ الثَّوَابِ
وإنَّ حَيَاةً لَا تُحِسُّ جَمَالَهَا
لَتَكْلِفُ مَصْفُوداً، وَصَفْقَةً خَاسِرِ
تَعْنَتْ بِهِ الْآبَادُ مِنْ قَبْلِ عَزْفِهِ
كَلَاماً فَجَابَ الدَّهْرَ أَوَّلَ عَابِرِ
وَأَرْهَضَ لِلْأَوْتَارِ حَتَّى إِذَا شَدَا
تَجَاوَبَ قَرُحُ الْكُونِ فِي بَرْحِ سَاهِرِ
وَدَقَّتْ نَوَاقِيسُ الْحَيَاةِ وَأُطْلِقَتْ
رَهَائِبُهَا فِي الْجَوْ رُوحَ الْمَبَاخِرِ
وَنَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَوَاتِ أَوْقِدُوا
كَوَاكِبَهَا فَالْيَوْمَ مِيلَادُ شَاعِرِ

٢

فَصَجُّ بِأَعْرَاسِ السَّمَوَاتِ عِيدُهَا
وَقَرَّ عَلَى شَطِّ الْحَيَاةِ شَرِيدُهَا

تَجَرَّدَتِ الْأَنْعَامُ فِيهِ عَوَالِمٌ
يُتَرَجَّمُ أَسْرَارَ الْوُجُودِ وَجُودُهَا
وَأَقْبَلَ رَبُّ الشَّعْرِ فِي أَيِّ مَوَكِبٍ
تَحُفُّ بِهِ حُورُ السَّمَاءِ وَغِيْدُهَا
وَطَافَ بِهِ جَبْرِيلُ قَبْلَ نُزُولِهِ
إِلَى الْعَالَمِ الْمَحْدُودِ وَالْأَرْضِ بِيْدُهَا
فَلَمَّا دَنَا مِنْ جَوْهَرِ الشَّعْرِ زَلْزَلَتْ
بِهِ السَّاحَةُ الْكُبْرَى وَمَاجَ أَيْدُهَا
وَقِيلَ لَهُ يَا شَاعِرَ الْكَوْنِ هَذِهِ
هِيَ الْجَذْوَةُ الْأُولَى وَأَنْتَ وَقَيْدُهَا
وَعَوْتُ بِالنَّارِ الْقَدِيمَةِ كَاهِنٌ
وَمَسَّ بِهَا الدُّنْيَا فَضَاءَ عَمُودُهَا
وَدَبَّ بِهَا مَعْنَى جَدِيدٌ وَأَمْرَعَتْ
بِطَائِحُهَا الْجَدْبَاءُ وَاخْضَرَّ عَوْدُهَا
وَأَطْلَعَ سَاقِي الشَّعْرِ فِي الْبَيْدِ كَرَمَةً
مُنْعَمَةً يَحْدُو الزَّمَانَ نَشِيدُهَا
وَنَادَى نَبِيُّ قَوْمَهُ: تِلْكَ وَاحِدَةٌ
عَلَى الْأَفْقِ عَذْرَاءُ الْجِنَانِ وَلُودُهَا
فَمَا آمَنْتَ بِالشَّعْرِ إِلَّا لُحُونَهُ
وَرَانَ عَلَى الْأَرْضِ الْعَجُوزِ جَمُودُهَا

وَقُدِّرَ لِلدُّنْيَا الشَّقَاءُ فَأَلْحَدَتْ
 وَجَدَفَ غَاوِيهَا وَضَلَّ رَشِيدُهَا
 وَأَشْرَعَتِ الْأَطْمَاعُ فِيهَا ضَغَائِنَا
 يُجَادِلُ فِي مَعْنَى السَّلَامِ حَدِيدُهَا
 وَمَا كَدَّرَ الْأَيَّامَ إِلَّا ظُمَاؤُهَا
 وَهَلْ شَابَ مَاءَ الْعَيْنِ إِلَّا وَرُودُهَا
 فَلَا طَابَ نَفْسًا بِالْحَيَاةِ شَقِيَّتُهَا
 وَلَا قَرَّ عَيْنًا بِالْحَيَاةِ سَعِيدُهَا

٣

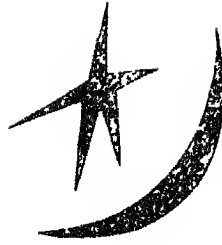
أَتَشُدُّ فِي دُنْيَا الْخِيَارَى مَنْ اهْتَدَى ؟
 أَفِي الْحَانَةِ الْحَمْرَاءِ تَرْتَادُ مَعْبَدًا ؟
 هَرَقْتَ إِذْنُ يَا سَادِنَ الشَّعْرِ لَحْنَهُ
 وَأَهْدَرْتَ لِلْغَافِقِينَ نَائًا مُسَهَّدًا .
 هِيَ الْأَرْضُ طَبَعَ فِي بَنِيهَا، وَمَنْ تَكُنْ
 جَبَلْتُهُ الْأُولَى تَرَابًا تَمْرُدَا
 وَكَمْ ضَارِبٍ فِيهَا بِعُكَّازِ تَائِهِ
 يُعَدُّ مِنَ الْمَوْتَى وَإِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا
 وَكَانَتْ حَيَاةُ النَّاسِ لَوْلَا زَحَامُهُمْ
 عَلَيْهَا طَرِيقًا لِلْسَّلَامِ مُعَبَّدَا

فلا تَكْ نجماً جاوزَ الليلَ وحدهُ
بيِّدَاءَ فَأَنْشَأْتَ أَشِعَّتُهُ سُدى
لِمَنْ شَارِقُ فِي الأفقِ إن كنتَ لا ترى
وفيَمَ هُتَافُ الوُرُقِ إن كنتَ جَلَمدا

* * *

هُنَالِكَ والدنيا روايةٌ ظالمٍ
وقِصَّةُ مظلومٍ وتَلَفِيقُ مُتَدَي
وفي ليلةٍ ظلماءٍ يَنْسَلُ بَرْقُهَا
كما جَرَّدَتْ كَفَّ الكَمِيِّ المُهَنِّدا
وفوقَ رَبَاةٍ يَكْمُنُ الدهرُ عندها
وتُبصرُ فيها - قَبْلَ مَوْلِدِهِ - عَدَا
دعا رَبُّهُ الشادي وَأَوْفَى بشعرِهِ
إلى العالمِ الثاني ومَدُّ له يدا
وكَفَّ عن الأوتارِ فهي نواشِرُ
كأعصابٍ محمومٍ أَلَحَّ به الصُّدى
وقال بنو الموتى لقد مات شاعرٌ
وكيف يذوقُ الموتَ مَنْ كان مُخْلَدا
بِقَدْرِ شعورِ المرءِ يمتدُّ عمرُهُ
وفي حَمَاةِ الأيامِ يَرْدَى بنو الرَّدَى

وما مات شادٍ بالجمالِ وإنما
إلى عالمِ الألحانِ عاد كما بدا
ومَنْ فهمَ الأيامَ لحناً مُجَدِّداً
تراءتْ له الأيامُ لحناً مُجَدِّداً



ربما اسْتَعْنَتِ الحَيَاةُ عن العلمِ على رغم ما أتى العلماءُ
وعلى الفنِّ وحدهُ عاشَ أجدادُكَ دهرًا وهم به سعداءُ
إِنَّ مَنْ أَطْلَقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أحسنوا أم أساءوا

في حانة سيد درويش

ألقيت في الاحتفال بذكراء الخامسة والعشرين

دَارَتِ الكَاسُ والتَقَى الندماءُ

وَأَعَادَتْ أَيَّامَهَا الصُّبَّاءُ

وصفًا مجلسُ الشرابِ وطابَتْ وصحَا في عُبَيْرِهَا الإِغْرَاءُ

وَبَدَّتْ حَوْلَهَا المِزَاهِرُ تَشْدُو. وَدَعَا الشُّرْبُ سَامِرٌ وَغِنَاءُ

وَاسْتَوَى الضَّارِبُونَ فِيهَا أَفَانِينَ وَبَاتَتْ عَلَى الغَدِيرِ الظُّمَاءُ

الليالي والصَّفْوَةُ النَّدْمَاءُ

وَسَقَاةُ المَلَايِحِ القَدَمَاءُ

بَاكَرَتْهُمْ فِي مَوْسَمِ الفَنِّ فَانْتَالُوا كَمَا يَجْمَعُ الفِرَاشُ الضِيَاءُ

أَمْ يَانْدِيمَايَ: هَذِهِ حَانُ بَاخُوسَ وَهَذِي أَنْعَامُهُ العِذْرَاءُ

نَبْضَاتُ الأَوْتَارِ فِيهَا تَرَاتِيلُ وَهَمْسُ الأَعْوَادِ فِيهَا دُعَاءُ

عَصَرَ الْفَنُّ كَرَمَهَا مِنْ مَعَانِيهِ وَدَارَتْ بِهَا الثُّغُومُ الرِّضَاءُ
وَإِذَا الْقَوْمُ بَعْدَ (خَمْسٍ وَعَشْرِينَ) نَشَاوَى كَعَهْدِهِمْ أَنْضَاءُ
رَقَصَتْ فِي أَعْصَابِهِمْ سَوْرَةُ الْفَنِّ وَلِلْفَنِّ سَوْرَةٌ وَانْتِشَاءُ
نَعْمَ عَاجِبٌ، وَلَحْنٌ رَوَاءُ

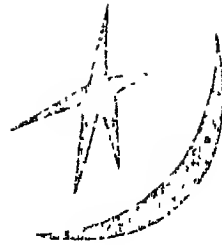
وَهَوَى سَاكِبٌ، وَطَبِيعُ رُخَاءُ
وَتَصَاوِيرُ لِلْوُجُودِ كَمَا لَوْ شَفَّهُ الرِّسْمُ أَوْ نَحَاهُ الطَّلَاءُ
وَتَعَابِيرُ عَنْ مَعَانٍ دِقَاقٍ لَمْ يُحَوِّمْ فِي جَوْهَا الشُّعْرَاءُ
أَنْكَرْتُ عَالَمَ الْفَنَاءِ وَضَجَّتْ فِي صَدَاهَا الْحَيَاةُ وَالْأَحْيَاءُ
صَانِعُ الْخُلْدِ لَا يَمُوتُ وَإِنْ مَدَّتْ عَلَيْهِ سُجُوفُهَا الْغَبْرَاءُ
عَلَّمَتْهُ الْإِنْسَامُ كَيْفَ الْبُكَاءُ

وَهَدِيرُ الْأَمْوَاجِ كَيْفَ الْإِبَاءُ
وَعَوِيلُ الرِّيحِ كَيْفَ التُّشْكَّى، وَعَبِيرُ الْوُرُودِ كَيْفَ الْغِنَاءُ
رُبُّ لَحْنٍ كَأَنَّهُ مَوْكِبُ الرُّعْدِ عَتِيًّا كَأَنَّهُ الْكِبْرِيَاءُ
وَلُحُونٍ كَأَنَّهُا رَقِصَةُ النَّارِ تُغْنِيهَا الزُّعْزُعُ النُّكْبَاءُ
وَلُحُونٍ كَأَنَّهُا لِحْظَةُ الْوَصْلِ زَهَّتْهَا مَلَاوَةٌ وَلِقَاءُ
وَلُحُونٍ تُصَوِّرُ النَّفْسَ الْوَانَا فَبِهَا الطُّيُوفُ وَالْأَصْدَاءُ
نَغْمَاتٌ تَرَدَّدُ الْبِدْعُ فِيهَا وَسَقَتْهَا الْبَدِيعَةُ الْوُطْفَاءُ
غَالٌ خَلَقَهَا الرَّدَى فَتَبَّأَهَا خُلُودٌ وَذَادَ عَنْهَا وَفَاءُ
يَخْفِضُ الدَّهْرُ عِنْدَهَا مِنْ جَنَاحِيهِ وَيَرْدَى الرَّدَى وَيَفْنَى الْفَنَاءُ
هِيَ كَالْخَمْرِ كُلَّمَا شَيَّخَ الدَّهْرُ تَنَاهَى بِهَا الصَّبَا وَالْفَتَاءُ

يَنْبُضُ الْحُبُّ فِي سَنَاها وتَدْعوكَ إلى اللَّهِ رَوْحُها الحَسَناءُ
وَمِنَ الْفَنِّ ما يُعَلِّمُكَ الْحَقُّ إذا مَوَّهَ الْوُجُودَ الرِّياءُ
وَمِنَ الْفَنِّ ما يُبَشِّرُ بِالرَّحْمَةِ دُنْيا طَغى عَلَيْها الشَّقَاءُ
لَيْسَ فِي جَوْهَرِ الْحَقِيقَةِ غَيْرُ الْفَنِّ شَيْئاً. وَغَيْرُهُ أَسْمَاءُ
وَالَّذِي أَبْدَعَ الْعِوَالِمَ فَتَّانٌ تَظَنُّى فِي فَهْمِهِ الْفُهْمَاءُ
وَاللِّيالِي قِصائِدُ عِصْماءُ

وأولو الْفَنِّ وَحْدَهُمُ أَنْبِاءُ

رَبِّما اسْتَغْنَتْ الْحِياةُ عَنِ الْعِلْمِ عَلى رَغْمِ ما أَتى الْعِلْماءُ
وَعَلى الْفَنِّ وَحْدَهُ عَاشَ أَجْدادُكَ دَهْراً وَهُمْ بِهِ سَعْداءُ
إِنْ مَنْ أَطْلَقُوا الْعُقُولَ عَلَيْنا لَسْتُ تَدْرِي أَلْحَسَنُوا أَمْ أَساءُوا
وَالَّذِي ظَنَّها تَراباً وَماءٌ هُوَ فِي نَفْسِهِ تَرابٌ وَماءٌ
شَدَّ ما تَجَنَّحُ الْحِياةُ إلى الرُّوحِ وَإِنْ كانَ فِي الطَّرِيقِ التَّوَّاءُ



ولكنُ الظلامَ إذا تماذى
فليسَ منَ انتظارِ الفجرِ بُدُ
وقد يأتي الصباُحُ على هوانا
وقد تَجري الرياحُ كما نودُ

في انتظار الفجر

بِقَلْبِي مَا بِقَلْبِكَ أَوْ أَشَدُّ
وَعِنْدِي مِنْ جَوَاكِ جَوَى وَسُهِدُ
وَلَكِنِّي أَكْبَرُ فِيكَ ضَعْفِي
وَدَمْعِي مِثْلُ دَمْعِكَ مُسْتَبِدُّ
تُرَاوِدُنِي دَوَاعِيهِ فَأُغْضِي
وَبِي مِنْ كِبْرِيَاءِ الدَّمْعِ جَهْدُ
إِذَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ الْعَيْنُ يَوْمًا
تَمَرَّدَ فِي دَمِي لَهَبٌ وَوَقْدُ
فَيُرْمِينِي عَلَى الْعِبَرَاتِ وَجَدُّ
وَيُثْنِينِي عَنِ الْعِبَرَاتِ وَجَدُّ

ولو أَنِّي بَكِيْتُ لَحَفْتُ مَا بِي
ولكنَّ البُكَاءَ لِلْحُرِّ قَيْدُ

* * *

هي الدنيا فلا تَعْتَبْ وَخُذْهَا
على عِلَّاتِهَا لَا شَيْءَ بَعْدُ
وللأَيَّامِ أَعْمَارٌ قِصَارُ
وأَقْدَارُ تَرَوُّحٍ بِنَا وَتَغْدُو
قَوَافِلُ فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ تَمْضِي
وَصَرَفُ الدَّهْرِ يَهْزُلُ أَوْ يَجِدُ
ونَائِحَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ تَبْكِي
كَهَاتِفَةٍ عَلَى الْأَغْصَانِ تَشْدُو
فلا تَعْتَبْ عَلَى الدُّنْيَا وَدَعَهَا
لِمَنْ يَبْكِي عَلَيْهَا وَهِيَ تَعْدُو

* * *

تَعَالَى إِلَى خَمِيلِ الْحَبِّ نَشْدُو
كَسَالِفِ عَهْدِنَا وَالْعَيْشِ رَغْدُ
تَعَالَى فَنَحْنُ فِي دُنْيَا هَوَانَا
نَعِيشُ وَبَيْنَنَا سَبَبٌ وَعَهْدُ
تَعَالَى فَلَيْسَ بَعْدَ الْحَبِّ شَيْءُ
وَلَيْسَ لِعَالَمِ الْأَشْوَاقِ حَدُ

يَدُ الْأَيَّامِ أَقْصَرُ مِنْ هَوَانَا
فَكَيْفَ تَنَالُ مِنْهُ وَهُوَ خُلْدُ
وَلَكِنَّ الظَّلَامَ إِذَا تَمَادَى
فَلَيْسَ مِنْ أَنْتَظَارِ الْفَجْرِ بُدُ
وَقَدْ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَى هَوَانَا
وَقَدْ تَجْرِي الرِّيحُ كَمَا نَوْدُ



أَيُّهَا النَّدِيمُ وَيْحَكَ أَوْفَيْتَ فِعْلُ بِي عَلَى مُؤَيَّسٍ وَهَاتِ
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاقِبُ فِعْلَ الدَّهْرِ فِي أَهْلِهِ وَأَرْقُبُ ذَاتِي
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاجِعُ فِي سِفْرِ وَجُودِي أَيَّامِي الْخَالِيَاتِ

رجعة الى موسى

ومويس نهير يمر بالزقازيق كانت لنا على شطآنه ذكريات
أيام كنا فتية نتعاطى المعرفة في معهد الزقازيق

وصلَ الرِّكْبُ يا نديمُ فهاتِ

هذه رَمَلَتِي وتلك رِبَاتِي

الرِّياض اللِّقَاءُ. والرَّفْرَفُ الخُضْرُ. وَمَغْنَى الصُّبَا. وَمَلْهَى اللَّدَاتِ
وَمَغْنَانِي عَمَاتِكَ النَّخْلُ فَرْعَاءُ صَمَوْتاً كعَهْدِهَا قَائِمَاتِ
وَمُؤَسَّسُ السِّكرَانُ رَاوِيَةُ الحَبِّ وسَاقِي لُحُونِهِ الثِّيلَاتِ
مَعْبُدُ الرَّاهِبِ الخَلِيعِ بِسَاطُ النَّدَامَى ومَوْعِدُ اللُّغْوَةِ
العَجُوزِ الزَّنْدِيقِ خِمَارَةُ الشَّعْرِ وَعُزَّى نَدْمَانِهَا وَاللَّاتِ
خَطَرَ الفَنِّ حَوْلَهُ فَجَعَلَا يَسْتَغْفِرُ الحُسْنَ والعُيُونَ اللَّوَاتِي
وعلى صَدْرِهِ بَغَامُ حَنِينٍ. وعلى شَطَطِهِ عُرَامُ سُقَاةِ
أنا أيضاً من السُّقَاةِ ولي في ذلك الشَّطِّ قِصَّتِي وَرَوَاتِي

فوق هذا الترى سَكَبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سِنِينَ عَصَرْتُهَا مِنْ حَيَاتِي
وعلى هذه الرِّمالِ تناولتُ كِتَابَ الْمَأْسَاءِ وَالْمَسْلَاةِ
وَالزَّمَانَ الْمَطْمُورَ تَحْتَ رُبَاهَا بَعْضُ ذَاتِي وَفِيهِ بَعْضُ صِفَاتِي
فَاعْذِرُونِي إِذَا لَوِثْتُ عَنِ الرُّكْبِ فَإِنِّي أَسِيرُ فِي ذِكْرِيَاتِي

* * *

يَا سَقَى اللَّهِ بِالزَّقَازِقِ أَيَّامَ صِبَايَ النِّوَاصِرِ الْعَطْرَاتِ
وَسِنِينَ كَانَهَا طَرْفَةُ الْعَيْنِ خِفَافاً مَرَزْنَ كَاللَّحْظَاتِ
يَسْتَرْقِنَ الْخَطِيءُ إِلَى شَاطِئِ النِّسْيَانِ فِي مَوْكِبِ رَهِيْبِ الصُّمَاتِ
مَنْ تَرَى أَتَقَطُّ الْخَوَاطِرَ حَوْلِي وَأَثَارَ الْمَطْيُورِيِّ مِنْ صَفْحَاتِي
وَأَعَادَ الْأَيَّامَ وَالْمَعْهَدَ السَّامِقَ مَسْرُوجٌ بِالنَّجُومِ الْهُدَاةِ
الْفُحُولِ الْأَعْلَامِ أَمْثَلَةَ الزُّهْدِ وَشَيْخَانِهِ الْعُدُولِ الثُّقَاتِ
وَرَفِيقِي كَأَنَّهُ هَامِشُ الشَّرْحِ إِذَا صَاتَ يَمْضِغُ الْفَافَاتِ
حَتَّى لِي كَأَنَّهُ الْجَمْلُ الْأَوْرَقُ صَخَابَةٌ كَثِيرُ اللَّتَاتِ
السَّرَاجُ الْعَلِيلُ يَشْهَقُ فِي مَحْرَابِهِ وَالْبَلَى يَرُوحُ وَيَأْتِي
وَنَضِيجُ مُفْلَقٍ لَا ذِعَ الطَّعْمَةُ يَشْوِي أَصَابِعِي وَلَهَاتِي
هُوَ زَادُ الْمَسَافِرِينَ بَلَا زَادٍ وَقُوْتُ الْمَحْتَاجِ لِلْأَقْوَاتِ
يَتَصَبَّبُ الْمَجَاوِرِينَ فَتَنْصَبُّ عَلَيْهِ كَالْفَاتِحِينَ الْغُزَاةِ
أَتْرَكَ الْمَتْنَ. وَاطْوَحَاشِيَةَ السَّعْدِ. وَأَذْرَكَ شَيْخُونَ قَبْلَ الْفَوَاتِ
أَنَا مِنْ مَازِنٍ وَمَازِنٌ مِنِّي وَاللَّيَالِي الْقَمَرَاءُ مِنْ صَدْحَاتِي

* * *

أَيْهَذَا النَّدِيمُ وَيَحَكَ أَوْفَيْتَ فَمِلْ بِي عَلَى مُؤَيَسٍ وَهَاتِ
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاقِبُ فِعْلَ الدَّهْرِ فِي أَهْلِهِ وَأَرْقُبُ ذَاتِي
أَنَا فِي شَطِّهِ أُرَاجِعُ فِي سِفْرِ وَجُودِي أَيَّامِي الْخَالِيَاتِ
أَوْقِظُ الْمَاضِيَ الْبَعِيدَ وَأَخْشَى أَنْ تَغِيَمَ الْأَشْبَاحُ فِي خُلُجَاتِي
وَأَنَا الشَّاعِرُ الَّذِي زُمَزَمَ الْكَاسَ فَرَنُتُ بِهِذِهِ الْمُرَقَّصَاتِ
لَيْتَ مَنْ عَقَّنِي وَأَلْحَدَ بِالشَّعْرِ يَرُدُّ الْأَحْيَادَ مِنْ خَطَرَاتِي



فِي زُورِقِ الْأَحْلَامِ رُؤَادُ
وَصَلُّوا ضِيفَاتِ الْغَيْبِ أَوْكَادُهَا
وَالشُّوقُ بَيْنَ رِحَالِهِمْ زَادُ .

لحنٌ قديم

دُورُوا بها في يومها دُورُوا كادت تطيرُ بِأهلِها الدُورُ
دُورُوا بها

ففي رَورِقِ الأحلامِ رُودُ وصلوا ضِفافَ الغَيبِ أوْكَادُوا
أحلامُهم أَفراحَ وَحَنِينُهم مَلَأَحَ

والتَّشَوُّقُ بين رِحالِهم زادُ ولهم بأرضِ الحبِّ ميعادُ
والحبُّ أغوارَ وَأَبْعَادُ فيها الهوى والظلُّ والنُّورُ

دُورُوا بها في يومها دُورُوا

راحتْ بما نخشاهُ أيَّامُ وأنتَ بما نهواهُ أيَّامُ
يا فرحةَ الأفراحِ يا جنةَ الأرواحِ

أيَّامُنَا والعيشُ أحلامُ وحياتُنَا شعراً وأنغامُ
وعلى طريقِ الشوقِ أعلامُ فَرَحِي يُرَفِّفُ حولَهَا النُّورُ

وَتَزْفُهَا الْوِلْدَانُ وَالْحُورُ
دُورُوا بِهَا فِي يَوْمِهَا دُورُوا



مَوْدُ فِي أَوَابِدِهِ السَّمَاءِ بَعْدَ . وَفِي شَدَاها اقْتِرَابُ
حَلَبَةِ الْمُحَلَّقُ كَالنُّسْرِ بَعِيداً . فِي شَدْوِهِ إِغْرَابُ
. تَشِفُّ عَنِ الْمَعْنَى كَحَسَنَاءَ يَزْدَهِيهَا نِقَابُ

محمود حسن اسماعيل في ذكراه الرابعة

غابَ عن روضِهِ . وطالَ الغيابُ
نازِحَ الروضِ : ما كفاكَ اغترابُ . ؟
جَفَّتِ الكاسُ يا جديِدَ المعاني ، وشكا النايُ شَجْوَهُ . والرِّبابُ
وَذَرَتْ نُضْرَهُ النَّدِيَّ كما يَذْوِي شِعَاعٌ إِذَا تَهَاوَى الشُّهَابُ
شَأْنُ مَنْ عَاقَرُوا أَغَارِيِدَ مُحَمَّدٍ فغَابُوا وهم حُضُورٌ وَذَابُوا
وَتَسَاقَوْا على هَوَاهُ أَهَازِيَجٍ تَغْنَى بها الهوى والشبابُ
ذاكَ مُحَمَّدٌ في أَوَابِدِهِ السَّمَاءِ بُعْدُ . وفي شَذَاها اقْتِرَابُ
شاعِرُ الحَلْبَةِ المُحَلَّقُ كالنَّسْرِ بعيداً . في شَذْوِهِ إِغْرَابُ
فَنَسِيمٌ مُعْطَرٌ . وهَجِيرٌ . وظلالٌ . وَهَذَاةٌ . واضطرابُ
وَضَبَائِيَّةٌ تَشِفُّ عن المعنى كحَسَناءَ يَزْدَهِيها نِقَابُ
وَأَفَانِيْنٌ مِنْ رُؤْيَى لا تراها العينُ لكن تَرُوْدها الألبابُ

صَوَّرَ جَادَهَا هَوَى غَلَابُ
وخيَالٌ مُجَنِّحٌ وَثَابُ

وحنينٌ لعالمٍ ليس يَبْدُو. . فيه شَجْوٌ. وفيه جَوُّ عُجَابُ
رِيشَةٌ مِنْ جَنَاحِ جَبْرِيلَ فِي كَفِّ هَتُوفٍ لُحُونُهُ مُحَرَابُ
يَسْجُدُ الْقَنْ فِي ثَرَاهَا. وَتَنْدَى خَطَرَاتُ الْهَوَى. وَتَعْنُو الرِّقَابُ
ذَلِكَ مَحْمُودُ. مَا لِمَحْمُودٍ أُنْدَاءُ. وَلَكِنَّمَا لَهُ أَحْبَابُ
جَمَعَتَهُمْ فِي حَانَةِ الشَّعْرِ أَقْدَاحُ وَرَاحَ رَاوُوقُهَا مِطْرَابُ

* * *

لَسْتُ أَنْسَى أَيَّامَنَا مِنْذُ كُنَّا. حَيْثُ كَانَ الصَّبَا وَكَانَ الشَّبَابُ
وَاللَّيَالِي كَمَا عَهْدَنَا وَضَاءُ. وَالْأَمَانِي كَمَا رَجَوْنَا عِذَابُ
وَدِنَانُ الزَّمَانِ تَفْهَقُ بِالشَّعْرِ وَتَدْعُو لِكَاسِيهِ مَنْ أَنْابُوا
وَتَرَاتِيلُ شَاعِرِ الْكَوْخِ فِي الْحَانَةِ شَوْقٌ لَشَوْقِهِ وَلَهَابُ
فَانتَشَى الشَّرْبُ. وَالتَّدَامَى. وَطَابَتْ لِحَظَاتُ اللَّقَا. وَطَابَ الشَّرَابُ

* * *

أَيْنَ تِلْكَ الْأَيَّامُ يَا سَاقِي الشَّعْرِ. وَأَيْنَ الرَّاوُوقُ وَالْأَكْوَابُ
أَيْنَ أَيَّامُنَا. وَأَيْنَ لَيَالِينَا. وَأَيْنَ الرِّفَاقُ وَالْأَصْحَابُ
سَبَقُونَا لِعَالَمٍ لَيْسَ فِيهِ نَزَوَاتٌ وَلَيْسَ فِيهِ اخْتِرَابُ
إِلَيْهِ مَحْمُودُ. مَا قَضَيْتَ وَمَا زَالَ شَجِيئاً هُتَافَكَ الْخَلَابُ
أَنْتَ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ مُقِيمٌ. لَيْسَ فِي تَرْبِهَا عَلَيْكَ حِجَابُ
أَنْتَ رُوحٌ مُجَنِّحٌ. رَائِعُ الشُّدُو. مُحَالٌ أَنْ يَحْتَوِيكَ التُّرَابُ



ولقد ساءلتُ نفسي كلُّ صبحٍ ومساء
عالمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفناء
أفرغَ العقلُ عليه فهو فنٌّ ورُواء
إنْ يَكُنْ تقويضُهُ حَتْمًا فَلِمَ كانَ البناءُ
ولماذا بَعْدَ عُمُرِ الأرضِ في هذا العناء

خُماسِيَّات

وَرَاءَ خُطَى اللَّيْلِ ..

هَذَا الْكَوْنُ وَأَضْفَى اللَّيْلُ ثَوْبَ الظُّلُمَاتِ
سَاكِنًا إِلَّا بِصَيْصَاءٍ مِنْ نَجُومٍ خَافَقَاتٍ
تَرْسُلُ الضُّوْءَ كَجَوَابٍ ضَعِيفٍ الْخَطَوَاتِ
يَعْبُرُ الدَّهْرَ إِلَى الْمَجْهُولِ مِنْ تَيْهِ الْحَيَاةِ
كَالصُّدَى الْغَامِضِ، أَوْ كَالطُّيْفِ، أَوْ كَالْهَمَسَاتِ
هَذَا الْكَوْنُ فَمَا لِلْكَوْنِ دُونَ النُّبْضِ حِسُّ
وَعَطِيطِ النَّهْرِ نُحْلَمُ. وَحَدِيثُ الرِّيحِ هَمْسُ
وَالْأَوَاذِي عَلَى الشَّاطِئِ تَرْبِيْتُ وَلَمْسُ
هُذْنَةُ لِلْكَوْنِ مِنْ حَرْبٍ عَلَى الْأَكْوَانِ تَقْسُو
رَكْبَتُ زُورَقِ ظُلُمَاءٍ عَلَى الْفَجْرِ سَيْرُسُو

* * *

هَذَا الْكَوْنُ فَمَا لِي قَدْ طَفَى تَبَارُ فِكْرِي
 يَعْصِفُ الشُّكُّ بِهِ حَتَّى عَلَى الشُّكِّ وَيُغْرِي
 لَا تَلُمُ حَرَّانَ دَاوَى لَذَعَةَ الْجَمْرِ بِجَمْرِ
 لَوْحِ الْوَهْمِ لَهُ فَاثْسَابَ فَوْقَ الشُّوكِ يَجْرِي
 أَضْلَالٌ أَمْ هُدًى مَا نَحْنُ فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 آهِ لَوْ يَكْشِفُ عَنْ مَخْبِئِهِ سِرُّ الْحَيَاةِ
 إِنَّنِي ظِمَّآنٌ .. ظِمَّآنٌ عَلَى وَرْدِ الْمِيَاهِ
 إِنَّنِي حَيْرَانٌ .. حَيْرَانٌ تَرْدَى فِي أَسَاهِ
 لَيْسَ يَشْفِينِي سُكُوتِي . لَا . . . وَلَا تُجِدِي الشُّكَاةِ
 وَطَرِيقُ الشُّكِّ دُونِي لَسْتُ أَدْرِي مُنْتَهَاهِ

* * *

نَائِبُهُ طَالَ سُرَاهُ فِي مَجَاهِيلِ الْعُضُرِ
 جَامِدُ الْوَجْهِ، خَفِيفُ الْخَطْوِ، يَجْتَازُ الْقَدْرَ
 كُلَّمَا شَاخَ وَأَوْهَى شَرْنَحَهُ شَيْبُ السَّحَرِ
 ذَابَ فِي الْفَجْرِ. وَأَلْقَى السِّيفَ فِي صَمْتٍ وَفَرَّ
 أَيْنَ يَا لَيْلُ بِنَا تَمْضِي لَقَدْ طَالَ السَّفَرُ
 مَا لِهَذَا اللَّيْلِ لَا يَنْفِكُ عَنْ هَذَا الرَّحِيلِ
 دَائِباً يَنْتَهَبُ الْأَجْيَالُ جَيْلاً بَعْدَ جَيْلٍ
 يُفْسَحُ الدُّنْيَا لِكُونِ مَقْبَلِ جَمِّ الْفُضُولِ
 ثُمَّ يَطْوِيهِ لِكُونِ آخِرِ عَمَّا قَلِيلٍ

قِصَّةُ الدُّنْيَا الْمُنَايَا، وَلِيَالِهَا الْفُصُولُ

* * *

قِصَّةُ طَالَتْ وَلَمَّا يُسْدِلِ الدَّهْرُ السُّتَارُ
لَخُصَّتْ دُنْيَاكَ فِي كَرِّ اللَّيَالِي وَالنَّهَارِ
وَرَحَاهَا أَيْسَ دَارَتْ شَمْرَ الْمَوْتِ وَدَارَتْ
قِفَتْ عَلَى الشَّاطِئِ وَانْظُرْ كَيْفَ يَتَنَالُ الدَّمَارُ
لَكَأَنَّ اللَّيْلَ جَيْشٌ وَالدِّيَاجِيرُ الْغُبَارُ
أَتَرَى الْبَدْرَ ضَلِيلًا؟ هَلْ رَأَيْتَ الشُّهْبَ حَيْرِي؟
تَذَرُّعُ الْأَفَقِ ثَقِيلَاتِ الْخُطَى شِبْرًا فَشِبْرًا
سَائِمَاتٍ فِي الْفِيَا فِي تَأْكُلُ الْأَجَالَ جَهْرًا
فَإِذَا صَاحَ بِهَا الدِّيكُ مَضَتْ تَأْكُلُ سِرًّا
لَيْسَتْ الْأَعْمَارُ إِلَّا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَأُخْرَى

* * *

لَيْلَةٌ تِلْكَ الَّتِي أَطْلَعَهَا الْغَيْبُ وَرَاحَتْ
وَنَعَامَهَا الدِّيكُ وَاسْتَبَكَى التُّدَى حَتَّى تَوَارَتْ
أَيْنَ رَاحَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ بَلْ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ
مَا الَّذِي يَنْقُصُ عُمْرَ الْكَوْنِ وَلَئِنْ أَوْ أَقَامَتْ
إِنَّهَا الْأَيَّامُ دَارَتْ. إِنَّهَا السَّاعَةُ حَانَكَ
إِيَّاهُ يَا دُنْيَا رَوِيدًا. لَا. بَلْ امْضِي سَاحِرَةً
إِنَّمَا نَحْنُ نِيَامُ فِي سَفِينٍ مَاحِرَةٍ

تُرِكَتْ دَفْنُهَا نَهَبَ السُّوَافِي الشَّائِرَةَ
فَمَضَتْ بَيْنَ صَخُورِ الْغَيْبِ تَجْرِي عَابِرَةً
أَتَرَى «جُودِيَّهَا» غَيْرُ صَخُورِ الْآخِرَةِ

* * *

هَلْ رَأَيْتَ الرَّاكِضَ الْمَجْنُونَ يَعْدُو خَلْفَ ظِلِّهِ
جَاهِداً يَسْبِقُهُ الظِّلُّ وَيُغْرِيبُهُ بِنَوْلِهِ
هُوَ مِنْهُ خَطْوَةٌ لَكِنِّهَا كَالْكُونِ كُلُّهُ
هَكَذَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا ضَلِيلًا خَلْفَ عَقْلِهِ
كَلِمَا اِزْدَادَ عِلْماً زَادَ إِيقَاناً بِجَهْلِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا كِتَابٌ وَبَنُو الدُّنْيَا سَطُورُ
دَفَّنَاهُ سَاعَةَ الْمِيلَادِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ
تَقْرَأُ الْآيَامَ فِيهِ قِصَّةَ الْكُونِ الْكَبِيرُ
كَلِمَا مَرَّتْ عَلَى سَطْرِ وَعْتِهِ فِي الضَّمِيرِ
وَمَضَتْ تَمْحُوهُ لَا يُمَهِّلُهَا وَخُدَّ الدَّهْورُ

* * *

سُبْحَةَ فِي كَفِّ شَيْخٍ رَاهِبٍ بِالمَوْتِ يُغْرِيبُ
كَلِمَا سُبْحَ مَرَّتْ حَبَّةٌ فِي الْغَيْبِ تَجْرِي
مَا الَّذِي أَبْقَاهُ مِنْ حَبَّاتِهَا. لَيْتَكَ تَذَرِي
أَيُّهَا الشَّيْخُ رَوِيْدَاً إِنِّي فِي الْمَوْتِ غَيْرِي
هَذِهِ الْحَبَّاتُ فِي كَفِّ الرُّدَى سَاعَاتُ عُمْرِي

كَانَتْ الدُّنْيَا قِفَارًا وَاللَّيَالِي مُضْجِرَاتُ
تَنْعَبُ الْوَحْشَةُ فِيهَا وَتَغُولُ الظُّلُمَاتُ
وَالْأَسَاطِيرُ بِهَا مِنْ قُوَّةِ الْجَهْلِ حَيَاةُ
حُلُمَتْ حَتَّى أَفَاقَتْ وَنَأَى عَنْهَا السُّبَاتُ
فَإِذَا الْمَوْجُ فَجِيحٌ. وَالسُّوَافِي صَرَخَاتُ

* * *

مَنْ تُرَى أَنْشَأَ ذَاكَ الرُّوضِ مِنْ تِلْكَ الْقِفَازِ
سَلَّطَ الْعِلْمَ عَلَى الْجَوِّ وَأَزْرَى بِالْبِحَارِ
وَمَضَى فِي الْأَرْضِ يَسْتَعْدِي عَلَى الْأَرْضِ الْبُخَارِ
قَدْ طَوَّامَا فَهُوَ رِيحٌ وَاحْتَوَاهَا فَهُوَ نَارٌ
سَعَرَ فِي قُوَّةِ الْإِنْسَانِ يَشْفِيهِ السُّعَارُ
تَخِذَ السُّلُوكَ رَسُولًا وَامْتَطَى الْبَرْقَ وَهَمًّا
يَتَخَلَّلُ الْعَالَمَ فِي تَفْكِيرِهِ وَالْبَحْثِ عَمَّا
كُلُّ يَوْمٍ بِجَدِيدٍ مُعْجَزٍ يُضْنِيكَ فَهَمًّا
قَدْ أَتَى بِالسُّخْرِ وَالْبَحْثِ فَطِيرٌ لَمْ يَتِمَّا
إِنْنِي أَسْأَلُ مَاذَا يَصْبِحُ الْعَالَمُ لَمَّا

* * *

عِنْدَمَا يَأْخُذُ كُلُّ الْكَوْنِ تَفْكِيرُ الْبَشَرِ
لَمْ يَدْعُ فِي الْأَرْضِ شَيْبَرًا لَمْ تُقَلِّبْهُ الْفِكْرُ
هَبَّهُ طَالَ التَّجَمُّ فِي الْعِلْيَاءِ أَوْ جَاَزَ الْقَمَرُ

وَتَحْدَى قُوَّةَ الدُّنْيَا وَأَزْرَى بِالْغَيْرِ
 ثَمْرُ طَابَ فَمَاذَا بَعْدَ أَنْ طَابَ الثَّمَرُ
 وَلَقَدْ سَاءَلْتُ نَفْسِي كُلَّ صَبْحٍ وَمَسَاءٍ
 عَالَمٌ تَصْطَدُّمُ الْوَحْشَةِ فِيهِ بِالْفَنَاءِ
 أَفْرِغِ الْعَقْلُ عَلَيْهِ فَهُوَ فَنٌّ وَرَوَاءُ
 إِنْ يَكُنْ تَقْوِيضُهُ حَتْمًا فَلِمَ كَانَ الْبِنَاءُ
 وَلِمَاذَا بَعْدَ عُمُرِ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْعَنَاءِ

* * *

ضِلَّةٌ لِلْعَقْلِ مَخْذُورًا غَرِيقًا فِي الْخُمَارِ
 وَجَدَ الْعَالَمَ أَشْوَكَاءَ وَنَارًا خَلْفَ نَارِ
 فَمَشَى فَوْقَ اللَّهَيْبِ الْجَاحِمِ الْمَسْعُورِ عَارِي
 هَائِمًا يَغْمُرُ فِي الدُّنْيَا بِأَسْبَابِ الدُّمَارِ
 رَبِّمَا كَانَ خَرَابُ الْكَوْنِ فِي هَذَا الْعَمَارِ
 أَصَحِيحٌ أَنْ قَوْمًا أَدْرَكُوا سِرَّ الْحَيَاةِ
 وَبِحَقِّ أَدْرَكُوهُ أَمْ أَتَوْا بِالنُّزْهَاتِ
 أَفْتَوْا الْعُمَرَ جَدَالًا فِي أُمُورِ بَاطِلَاتِ
 سَكَبُوا فِي هَامِشِ الْكَوْنِ دِمَاءَ الشَّبَهَاتِ
 ثُمَّ رَاحُوا وَكُتِبَ الْكَوْنُ بِكُرِّ الصَّفْحَاتِ



هيه يا أول الطريق من العام يميناً فنهتدي أم شمالاً
أي شيء صورته حين صوّرت من الثور جابةً وسؤالاً

هَلَالُ الْمُحَرَّمِ

عَادَ بَعْدَ الثَّوَى وَأَلْقَى الرُّحَالَا

صَامَتْ قَامَ يَخْطُبُ الْأَجْيَالَا

وَشَهِدَ عَلَى الزَّمَانِ قَدِيمٌ. كَالزَّمَانِ الْقَدِيمِ يَأْبَى الزُّوَالَا

وَكَأَنَّ الظَّلَامَ حَوْلَ مَرَاثِيهِ غُبَارُ الدَّهْوَرِ مَرَّتْ ثَقَالَا

وَالزَّمَانُ الْعَجُوزُ دَاهِيَةٌ يَرْتَجِلُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ارْتَجَالَا

وَالزَّمَانُ الْعَنِيدُ أَحْمَقُ يَرْتَادُ الْمَنِيَا وَيَرْكَبُ الْأَهْوَالَا

وَالزَّمَانُ الْعَجِيبُ أُسْطُورَةٌ يَنْسِجُهَا الْوَهْمُ لِلْوُجُودِ خِيَالَا

صَامَتْ قَامَ يَخْطُبُ الْأَجْيَالَا

وَدَّ لَوْ تَرَجَّمَ الضِّيَاءُ مَقَالَا

وَبَوَاكِيْرٌ مِنْ سَنَاءٍ تَهَادَى، كِتَابَشِيرٌ مِنْ رَجَاءٍ تَلَالَا

خَطُّهُ الْغَيْبُ فِي السَّمَوَاتِ سَطْرًا. وَهَمَّ النَّاسُ إِذْ دَعَا هَلَالَا

هو هَمَسٌ في خاطر الكون مشبوبٌ يَقْصُ التاريخَ والأبطالاً
هو قَنٌّ على السماءِ . ومعنى كالمعاني . وهجرةٌ تتوالى
هو شيءٌ غيرُ الأهاليِ يُوي كلَّ عامٍ فيُوقِظُ الأُمَلا
خِجَرٌ في يَدِ المحرَّمِ مَسْلُوكٌ على عالمٍ يَضِجُ خَبالاً
قد لَوَاهُ الطَّعَانُ في لَجَبِ الدهرِ وعُنفُ الطعانِ يَلْوِي النُّصَلا

* * *

هيه يا أوَّلَ الطريقِ من العامِ يميناً فنَهتدي أم شمالاً
أي شيءٍ صَوَّرَتْهُ حين صَوَّرَتْ من الثورِ جابَةً وسؤالاً
أُتَرَانَا على الطريقِ أم أنْبَتَتْ بنا السُّبُلُ وانتحرنا جدالاً
وخرجنا إلى الحياةِ مَناكِيلَ نُجِيدُ الثَّوَاخَ والأَعْوَالِ
وقَبَعْنَا من المعاركِ بالوصفِ وخَضْنَا غِمَارَهَا أَقْوَالاً
ونَصَبْنَا لكلِّ سَاعٍ شراكاً . وملأنا طريقَهُ أوحالاً
واحتمينا من الحقائقِ بالجهلِ وسرنا وراءه أشكالاً
الذي صار عند قومٍ حراماً كان في يومه القريبِ حلالاً
ضِلَّةٌ لِلْجَاكِ يَخْتَلُ قومي ويُرِيهم أقوالهم أعمالاً

* * *

يا هلالاً في مطلعِ العامِ أَلْهُوباً يسوقُ الأيامَ وهي كُنَالِي
هاتِ من ذكرياتِ يومك يوماً يَفْرَعُ الغافلينَ والجُهَّالِ
وأَعِدْ قِصَّةَ الخلودِ على العالمِ واضربْ فُصُولَهَا أمثالاً
هي ميراثُ أمةٍ غَالَهَا الخُلْفُ وصاغَتْ من جهلها أغلالاً

قصةٌ، ترسُمُ البطولةُ في أحداثها العزمَ صامداً والنضالاً
قصةُ الرأيِ حينَ تَجَحَّدُ الأرضُ عِناداً من حمقها أو ضلّالاً
قصةٌ تُلهِمُ التأملَ مسرّاءً وتُضفي على الوجودِ جلالاً
ما نظمتُ التاريخَ فيها ولكني ضربتُ التاريخَ فيها مثلاً



وَمِنْ صَلَاتِي بِكَ دَمْعُ الْمَعْدَرَةِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَفَيِّمَ الْمَغْفِرَةَ

طَاعَةُ الْمَعْصِيَةِ

أَنْشَأَتْ نَسْراً وَخَلَقَتْ قُبْرَةً
وَصُفَّتْ ظَبِيّاً وَارْتَجَلَتْ قَسُورَةً
تَنَاحُرُ الْبَقَاءِ فِي هَذَا الشُّرَةِ
مَجْزَرَةٌ فِي الدَّهْرِ أَيُّ مَجْزَرَةٍ
فَمَنْ أَتَاكَ الْكَوْنُ تِلْكَ السَّيْطَرَةُ
وَمَنْ أَمَدَّهُ بِتِلْكَ الْمَقْدَرَةِ
وَالذَّنْبُ يَا رَبِّاهُ مَنْ ذَا صَوْرَةٍ
مَنْ قَالَ كُنْ ذَنْباً وَمَنْ ذَا قَدْرَةٍ
قَدْ جِئْتُهُ عَمداً لِكَيْمَا تَغْفِرَهُ
وَمِنْ صَلَاتِي بِكَ دَمْعُ الْمَعْدَرَةِ
إِنَّ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَفَيْمَ الْمَغْفِرَةِ

* * *

إِنْ عَبْدَ النَّاسِكُ مَا شَوْقَتُهُ
أَوْ رَهَبَ الرَّاهِبِ مَا خَوْفَتُهُ
فَقَدْ عَبْدْتُ فِيكَ مَا قَدَّرْتُهُ
أَرَدْتُ يَا رَبِّي مَا أَرَدْتُهُ
فَمَا الَّذِي أَجْرَمَ مَنْ نَحْنُهُ
مِنْ صَخْرَةِ الْإِثْمِ الَّذِي جَبَلْتُهُ
وَأَنْ أَكُنْ عَصِيثُ مَا أَمَرْتُهُ
فَلَا نَنِي أَطَعْتُ مَا أَبْرَمْتُهُ
أَيُخْرِجُ الْعَبْدُ عَلَى مَا شَتَّتُهُ

* * *

عِصْيَاتِي الطَّاعَاتِ إِنْ أَسَأْتُ
كَطَاعَةِ الْعِصْيَانِ إِنْ أَحْسَنْتُ
رَحْمَاكَ يَا رَبِّي فَإِنِّي حَرْتُ



على قلبي وضعتُ يدا ونحوكَ قد ممدتُ يدا
وليس يضيقُ بأُبك بي فكيف تَـذُودُ مَنْ وَرَدَا

لَغَيْرُكَ مَا مَدَدْتُ يَدَا^(١)

لَغَيْرُكَ مَا مَدَدْتُ يَدَا وَغَيْرُكَ لَا يَفِيضُ نَدَى
وَلَيْسَ يَضِيقُ بِأَبْكَ بِي فَكَيْفَ تَرُدُّ مَنْ قَصَدَا
وَرُكْنُكَ لَمْ يَزَلْ صَمَدَا فَكَيْفَ تَذُودُ مَنْ وَرَدَا
وَلَطْفُكَ يَا خَفِيَّ اللَّطَفِ فَبِإِنْ عَادِي الزَّمَانِ عَدَا

* * *

عَلَى قَلْبِي وَضَعْتُ يَدَا وَنَحْوَكَ قَدْ مَدَدْتُ يَدَا
سَرَى لَيْلِي بِغَيْرِ هُدَى وَلَا أَدْرِي لِأَيِّ مَدَى
يُطَارِدُنِي الْأَسَى أَبَدَا وَيَرْعَانِي الْجَوَى أَبَدَا
وَيَنْشُرُ فِي الْهَوَى رَوْحاً وَيَطْرِينِي الْهَوَى جَسَدَا

(١) موسيقى والحنان كمال الطويل وعناء أم كلثوم

وَأَطْوَى الْبَيْدَ طَاوِيَةً كَأَنِّي فِي الْفَضَاءِ صَدَى

* * *

نَهَارِي وَالْهَجِيرُ لَظَى وَلَيْلِي وَالظَّلَامُ رَدَى
فَوَاكِبِدَا إِذَا أُضْحِي وَإِنْ أُمْسِي فَوَاكِبِدَا
وَلَيْسَ سِوَاكَ لِي سَنَدٌ فَقَدْتُ الْأَهْلَ وَالسَّنَدَا



ولمّا طواني الدُّجى والجوى
لَقِيْتُ الهوى وعرفتُ الهوى

حانةُ الأقدار^(١).

حانةُ الأقدارِ
عريدتُ فيها . لياليها
ودار النُّورِ
والهوى صاحي

* * *

هذه الأزهارُ
كيف نسقيها . وساقِها
بها مخمورُ
كيف يا صاحِ

* * *

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي ، وعناء أم كلثوم

سَأَلْتُ عَنْ الْحُبِّ أَهْلَ الْهَوَى
سُقَاةَ الدَّمُوعِ نِدَامَى الْجَوَى
فَقَالُوا حَنَانُكَ مِنْ شَجْوِهِ
وَمَنْ جَدَّهُ بِكَ أَوْ لَهْوِهِ
وَمَنْ كَدَّرَ اللَّيْلَ أَوْ صَفْوِهِ
سَلِي الطَّيْرَ إِنْ شَتَّ عَنْ شَدْوِهِ
فَفِي شَدْوِهِ هَمَسَاتُ الْهَوَى
وَبَرَّحُ الْحَنِينِ وَشَرُّحُ الْجَوَى

* * *

وَرَحْتُ إِلَى الطَّيْرِ أَشْكُو الْهَوَى
وَأَسْأَلُهُ سِرَّ ذَاكَ الْجَوَى
فَقَالَ حَنَانُكَ مِنْ جَمْرِهِ
وَمِنْ صَحْوِ سَاقِيهِ أَوْ سُكْرِهِ
وَمِنْ نَهْيِهِ فَيْكِ أَوْ أَمْرِهِ
سَلِي اللَّيْلَ إِنْ شَتَّ عَنْ سِرِّهِ
فَفِي اللَّيْلِ يُبْعَثُ أَهْلُ الْهَوَى
وَفِي اللَّيْلِ يَكْمُنُ سِرُّ الْجَوَى

* * *

وَلَمَّا طَوَّانِي الدُّجَى وَالْجَوَى
لَقِيتُ الْهَوَى وَعَرَفْتُ الْهَوَى

ففي حانة الليل خماره
وتلك النجيمات سماره
وتحت خيام الدجى ناره
وهمس النسائم أسراره
وفي كل شيء يلوح الهوى
ولكن لمن ذاق طعم الهوى



يَهْوَنُ عَذَابُ الْجِسْمِ وَالرُّوحُ سَالِمٌ
فَكَيْفَ وَرُوحُ الْمُسْتَهَامِ جَرُوحُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَشْكُو الصَّبَابَةَ عَاشِقًا
وَمَا كُلُّ بَاكِ فِي الْغَرَامِ قَرِيحُ

يَقُولُونَ لِي غَنِّي (١)

غريبٌ على بابِ الرجاءِ طريحُ
يناديكِ موصولَ الجوى وينوحُ
يَهُونُ عذابُ الجسمِ والروحِ سالمُ
فكيفَ روحُ المستهامِ جروحُ
وليس الذي يشكو الصبابةَ عاشقاً
وما كلُّ باكٍ في الغرامِ قريحُ
يقولون لي غَنِّي وبالقلبِ لوعةُ
أُغَنِّي بها في خَلوتي وأنسُحُ
ولي في طريقِ الشوقِ والليلِ هائمُ
ولي في مقامِ الوجودِ حالٌ ولوعةُ

(١) من أغاني رابعة العدوية. ألحان كمال الطويل. وغناء أم كلثوم

مَعَالِمُ تَخْفَى تَارَةً وَتَلُوحُ
وَدَمْعٌ أَدَارِي فِي الْهَوَى وَيُؤْخُ
وَأَنْتَ وَجُودِي فِي شَهُودِي وَغَيْبِي
وَسُرُّكَ نُورُ النُّورِ. أَوْ هُوَ رُوحُ
وَمَا رَحَلْتُ إِلَّا إِلَيْكَ مُوَاجِدِي
وَدَاعِي الْهَوَى بِالسَّوَالِهِينَ يَصِيحُ
بِسِرِّ الْهَوَى يَغْدُو فِيهِ يَرُوحُ
غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيقُ



حَيَايِ مِنْكَ يُتَعِدُّنِي وداعي الشوقِ يُذْنِني
وَوَجْهُ الصُّفْحِ يُخْجِلُنِي ويقتلني ويُخِينِي

في بحار الندم^(١)

على عيني بكث عيني على رُوحِي جَنَتْ رُوحِي
هواك وبُعْدُ ما بَيْنِي وبينك سرُّ تَبْرِيحِي

على عيني

على رُوحِي

فياغوثة ياغوثة

ومن طول التوى أَوَّاه

وآه آه

صحا من شجوه كاسي وقد نام الخليلونا

فكيف أفر من نفسي إذا هام المحبونا

على نفسي

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي . وغناء أم كلثوم .

جَنَّتْ نَفْسِي
فِيَا وَيْلَاهُ يَا وَيْلَاهُ
وَمِنْ طَوْلِ الثَّوَى أَوَّاهُ
وَأَوْ آه

حَيَاتِي مِنْكَ يُبْعِدُنِي وَدَاعِي الشَّوْقُ يُذْنِبُنِي
وَوَجْهُ الصُّفْحِ يُخْجَلُنِي وَيَقْتُلُنِي وَيُحْيِيُنِي
وَأَيَّامِي
تُقَاضِيُنِي

عَلَى مَا كَانَ يَا أَسْفَاهُ
وَمِنْ طَوْلِ الثَّوَى أَوَّاهُ
وَأَوْ آه

خَلَوْتُ إِلَيْكَ يَا رَبِّي وَقَلْتُ عَسَاكَ تَقْبَلُنِي
فَمَا بَالِي أَرَى ذَنْبِي وَأَيَّامِي تُطَارِدُنِي
مَدَدْتُ يَدِي

فَخُذْ بِيَدِي
إِلَيْكَ وَمِنْكَ يَا رَبِّاهُ
وَمِنْ طَوْلِ الثَّوَى أَرَّاهُ
وَأَوْ آه



في كأس عُمري بقايا مَنْ يُشارِبُنِي
وَمَنْ يُطارِحُنِي والعيشُ ريحانُ

صُحْبَةُ الرَّاحِ (١)

يا صحبة الرَّاحِ: أَهْلُ الرَّاحِ هَلْ حَانُوا
وَهَلْ تَغَنُّتْ عَلَى أَيَّامِهَا الْحَانُ
صَبَا النَّدَامَى وَمَا فِي الْحَانِ أَلْحَانُ

* * *

فِي كَأْسِ عَمْرِي بَقَايَا مَنْ يُشَارِبُنِي
وَمَنْ يُطَارِحُنِي وَالْعَيْشُ رَيْحَانُ
ثُمَّالَةٌ مِنْ دَمْعِ الشَّجْوِ أَلْوَانُ
إِبْرِيْقُهَا رَاحَ بِبَكْيٍ وَهُوَ فَرِحَانُ
ثُمَّالَةٌ آهٍ لَوْ فَاضَتْ. وَآهٍ إِذَا

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم

غاضت. وواهاً لها والقلبُ لهفانُ
عهدي بها وكؤسُ الصُّفْرِ مترعةٌ
بهنَّ طافَ على السَّكرى سُكرانُ
لا يشربُ الراحَ إلا أنه ثَمِلٌ
نشوانُ والكأسُ في كفيه نشوانُ

* * *

تُرى تَعوُدُ الليالي والهوى معنا
يا غُرْبَةَ الكاسِ ما للكاسِ نُذْمانُ



ولستُ على الشَّجْوِ أشكو الهوى
رضيْتُ بما شئتُ لي في هراكا

أَحْبُكَ حَبِينٌ (١)

عرفتُ الهوى مُذْ عرفتُ هواكَا
وأغلقْتُ قلبي عَمَّنْ عداكَا
وقمْتُ أناجيكَ يا مَنْ ترى
خفايا القلوبِ وَلَسْنَا نراكَا
(أَحْبُكَ حَبِينٌ: حُبُّ الهوى
وحباً لأنك أهلٌ لذاكَا) (٢)
(فأما الذي هو حُبُّ الهوى
فَشُغْلِي بذكركَ عَمَّنْ سِواكَا)

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي . وغناء أم كلثوم .
(٢) الأبيات الأربعة الواقعة بين الأقواس من شعر السيدة رابعة .

(وأما الذي أنت أهل له
فَكَشَفَكَ لي الحُجَبَ حتى أراكا)
(فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي
ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا)

* * *

واشتاقُ شوقين: شَوْقَ النَّوى
وشوقاً لِقُرْبِ الخُطَى مِنْ حماكا
فأما الذي هو شَوْقُ النَّوى
فَمَسَرَى الدُّمُوعِ لِطُولِ نواكا
وأما اشتياقي لِقُرْبِ الحِمَى
فنازُ حياةٍ خَبِثَ في ضياكا
ولستُ على الشُّجْوِ أشكو الهوى
رَضِيتُ بما شئتُ لي في هواكا



تَعْلَمْتُ مَعْنَى أَنْ تَسِيرَ بِمَشْعَلِ
يَشْقُ غُبَارَ اللَّيْلِ مَعْتَمُ
فِيَهْدِي حَيَارَى طَالٍ فِي الدَّرَبِ سَيْرُهُمْ
وَبَاتُوا عَلَى سَفْحِ الْأَمَانِي وَخَيَّمُوا

كُنْتُ مُعَلِّمًا

ألقيت في الحفل الذي أقامته نقابة المهن
التعليمية يوم السبت الأول من أكتوبر ١٩٧٦
لتكريم الشاعر باعتباره واحداً من الرواد
الأوائل الذين كرمتهم الدولة في هذا اليوم...
يوم المعلم.

ترنم حاديهم فهل فيك منعم؟
وأقدم ناديهم فهل أنت مُقدم
ألسك ترى أعلامهم كعلومهم
مصاييح من نور الهداية تُنظّم
تحف بها الأضواء من كل جانب
ألسك ترى. أم أنت غافٍ مُهوّم

فقلتُ: أرى. والعينُ توهم مَنْ يرى
 ذكاءً فَدَعْنِي لِإِنْسِي أَتَوْهُمْ
 مواكبُ في طهر الملائك أغربُ
 معالُها عني فساءلُ عنهمو
 لمن هذه الأعلامُ تَخْفُقُ بالسُّنا
 وما ذلك الحشدُ الكبيرُ المكرُّمُ
 سألتُ. فقالوا: يا لَكَ اللَّهُ. هذه
 مشاعلُ يومٍ للمعلم يُرْسَمُ
 وتلك الحُفُوفُ الزَّاحِفَاتُ مواكبا
 هي الحشدُ. وهي المجدُّ. وهي المعلمُ
 فقلتُ خذوني حادياً في ركبهم
 فإني - وإن باعدتُ - يا قوم منهمو
 خذوني أغنيهم وأثّر عندهم
 خواطر مَنَسِيَّ يَجِنُّ إِلَيْهِمْ
 ويذكرُ أيامَ الشباب الذي مضى
 فيأسى على أيامه ويُرحمُ
 ويذكر أحلاماً قطعنا طريقها
 على الشوك لا نشكو ولا نَتَبَرَّمُ
 ونشربها رَنَقاً. ونرضى بشربها
 وتَحْلُو لَنَا أَيْامُنَا وهي علقمُ

وَنَسْفِي غِرَاسَ الْجِيلِ ذَوْبَ قُلُوبِنَا
وَنَجْنِيهِ حَباً طَيِّبَ الشُّرِّ يَفْغَمُ
وما زال عندي ذكرياتٌ عزيزةٌ
عَزَاةَ مَنْ عَانُوا وَلَمْ يَتَأَلَّمُوا
كراريسُ يُفْنِي اللَّيْلَ تَصْحِيحُ بَعْضِهَا
ودفترُ تَحْضِيرِ يُبِينُ وَيُعْجِمُ
وما زال في سمعي صدى جرسٍ لهم
يَدُقُّ قَيْئِدِي . أَوْ يَدُقُّ فَيَخْتَمُ
إذا ما دعا للدرسِ بَاكَرَ فَتِيَّةٍ
كَأَفْرَاحِ طَيْرٍ حَوْلَ وَرْدٍ تُحَوِّمُ
فإن لمحوني داخلاً صَاخَ صَائِحُ
قِيَاماً . فَقَامُوا . وَاسْتَقَامُوا . وَعَظَّمُوا
وَتِلْكَ لَعَمْرُ الْأَرِيحِيَّةِ لِمَحَّةٍ
مِنَ الصَّدَقِ وَالْعِرْفَانِ تُوحِي وَتُلْهِمُ

* * *

وَأَشْهَدُ أَنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُمْ
لَقَدْ كُنْتُ أَيْضاً مِنْهُمْ أَتَعَلَّمُ
تَعَلَّمْتُ مَعْنَى أَنْ يُضَحِّيَ بِنَفْسِهِ
شَهِيدٌ لِيَتَّقَى لِلصَّبَاحِ التَّبَسُّمُ

تَعَلَّمْتُ مَعْنَى أَنْ يَعِيشَ لغيرِهِ
دَوُوبٌ لِيُغْنِي غَيْرُهُ وَهُوَ مُعْدِمٌ
تَعَلَّمْتُ مَعْنَى أَنْ تَسِيرَ بِمَشْعَلٍ
يَشُقُّ غَبَارَ اللَّيْلِ وَالِدَرْبُ مُعْتَمٌ
فَيَهْدِي حِيَارَى طَالَ فِي الدَّرْبِ سَيْرُهُمْ
وَبَاتُوا عَلَى سَفْحِ الْأَمَانِي وَخَيُّمُوا
وَيَفْتَحَ آفَاقَ الْحَيَاةِ رَحِيبَةً
وَيَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ أَشَاحُوا وَأَحْجَمُوا
وَأَدْرَكْتُ أَنَّ الْمَرْءَ حَيْثُ نَصَابُهُ
مِنْ الْعَمَلِ الْبَاقِي أَتَمُّ وَأَحْكَمُ
وَأَقْسَمُ إِنِّي مَا عَرَفْتُ حَقِيقَتِي
وَلَا كُنْتُ إِلَّا حِينَ كُنْتُ أَعْلَمُ
كَذَلِكَ يَعْلُو بِالْمَعْلَمِ قَدْرُهُ
وَيَكْبُرُ فِي عَيْنِ الزَّمَانِ وَيَعْظُمُ
وَيَسْمُو عَلَى آلَامِهِ بَيْنَ مَعَشَرٍ
يَكْدُ لِيَرْتَاحُوا وَيَشْقَى لِيَنْعَمُوا
هُوَ الرَّائِدُ السَّاقِي يَوْزُغُ نَفْسَهُ
عَلَى أَنْفَسٍ عَطَشَى وَيُعْطِي وَيَقْسِمُ
وَلَمْ أَرْ فِي الْمُعْطِينَ مِثْلَ عَطَائِهِ
فَذَلِكَ أَبْقَى مِنْ جَدَاهُمْ وَأَقْوَمُ

إذا كان مَنْ يُعْطَى مِنَ الْمَالِ كَرَمَةً
فإنَّ الَّذِي يُعْطَى مِنَ النَّفْسِ أَكْرَمُ
وإن كان مَنْ يَنْبِي الْعَمَائِرَ مُعْظِماً
فإن الَّذِي يَنْبِي النَّفُوسَ لِأَعْظَمُ
وما زالتِ الدُّنْيَا بِخَيْرٍ إِذَا ذُنَا
جَنَاهَا لِمَنْ شَقُّوا ثَرَاهَا وَأَوَلَمُوا
وما زالتِ الدُّنْيَا بِخَيْرٍ إِذَا وَفَى
بُئُوهَا لِمَنْ ذَادُوا وَرَادُوا وَقَوْمُوا
سَلَامٌ عَلَى يَوْمِ الْمَعْلَمِ إِنَّهُ
وَثِيقَةٌ حَبِّ . . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ



يا لياليّ بالحسينِ أعيدي بسمّة الدهرِ واطفري مِن جديدِ
نحن في شاطئِ الحياةِ حيارى قد أقمنا على ضفافِ الوجودِ

على ضفاف الوجود

شاعرٌ غريبٌ

رائدُ الليلِ خَلَفَ وَهْمٍ بعيدِ

وخيالٍ من الأمانِ عنيدي

وغريبٌ يرى الصباحَ غريباً في حياةِ كَلِيلِهِ المَعْقُودِ
وَلَوْلَ القيدُ في يديه وصاحت في شرايينه دماءُ الشهيدِ
قَلَمٌ كانَ بسمَةً في فَمِ الدنيا فماتت على فَمِ الفَرِيدِ
أَقْفَرَتْ رُوحُهُ وَاغَاضَتْ معانيه وأَمْسَى على الثرى فَضَلَ عُودِ
وبقايا حشاشةٍ تتلوى تحت حَرِّ الجوى وَيَرْدِ الوعودِ
جَفَّ حتى أنكرته وهو مني شَبَحُ الأَمِّ من خيالِ الوليدِ
أَهْ مِنْ آهَةٍ بقلبٍ شريدٍ ضَلَّ في ذلك المَتَاهِ الشَّرِيدِ
نحن في عالمِ حُمَادَاهُ أنا قد نَسِينَا به معاني الوجودِ
أَتَكُونُ القبورُ أَضْيَقُ أم تلك الفيافي لساھِدِ يَرْقُودِ

وارتقابُ الجحيمِ أمْ ذلكَ الرُّعبُ بجوِّ مُسَمِّمٍ محدودٍ
وعُواءُ الضِّياعِ بالليلِ أمْ جَرَسُ الأفاعي مُضَلِّصاً من بعيدٍ
وجماهيرُ من عقاربِ رُغْنٍ شائلاتٍ أذنانها كالْبُشُودِ
تَلُسُّبُ الحيِّ والجمادِ كما استلهمَ أعمى عصاهُ فوق الصَّعيدِ

* * *

كلُّ يومٍ لنا فنونُ دفاعٍ في نزاعٍ على البقاءِ الكسيدِ
تَتَبَارَى مع الطَّبيعَةِ والأوهامِ والخوفِ والدجى والبيدِ
ظلماتٌ يَجْتُمُنْ خَلْفَ دِياجٍ ورعودٌ يَجَاوِزُ إثْرَ رعودِ
أين حربُ الأعصابِ من هذه الحربِ تَلْظُثُ في ليلها الموعودِ
أعواءُ المدافعِ الشُّكْسِ أمْ زَأْرُ غضوبٍ على الرِّبى شُحْدُودِ
يوقظُ الليلَ كلُّه ويكادُ الفجرُ ينشقُّ خيفةً في النُّجُودِ
وسِمَامُ الغازاتِ أمْ ذلكَ الصَّلُّ بقرنيه لا بدأً في الحَرِيدِ
آه من أهَةٍ بقلبٍ شريدٍ ضلَّ في ذلكَ المَتَاهِ الشريدِ

* * *

مَنْ أَباحَ الشُّذاً وكان حراماً. وحشةُ الروضِ أمْ بكاءُ الورودِ
والذي أسلمَ العنادلَ للذلِّ هواها أمْ كبرياءُ النشيدِ . .
لهفٌ نفسي على ورودِ القوافي . يذبلُ الوردُ في القفارِ ويؤدي
خطراتُ يَلْمَعُنْ في ذلكَ القفرِ كماءٌ في الصخرةِ الصَّيْخُودِ
حَرِّ قَلْبِي عَلَيْكَ يا مصر. يا مهبطَ وحيي ويا مَرَادَ قصيدي

يا لياليّ بالحسين أعيدي بسمّة الدهر واطخري من جديد
قد بكى الناي في يد العازف النائي وأنّث أوتارهُ من بعيد
نحن في شاطئ الحياة حيارى قد أقمنا على ضفاف الوجود



كذلك جيشك في غرمه دماء حلال وأرض حرام
سلام على الجيش في يومه وفي كل يوم عليه سلام

نشيدُ الجيش (١)

مجدُ في يومه المُرتَقَبُ وأشرقَ في عيدهِ ما غَرَبَ
فَقُمْ حَيُّ جَيْشِكَ جيشَ العَرَبِ
حَمِيٍّ الدَّمَامِ وجيشَ السلامِ
سَلامٌ سَلامٌ سَلامٌ سَلامٌ

* * *

مِنْ مَجْدِنَا الغَابِرِ وَصُغْنَاهُ مِنْ دِمْنَا الشَّائِرِ
أَعَزُّ مِنَ الرُّوحِ وَالنَّاطِرِ
ثَوْرَتِنَا الظَّافِرَةَ وَقُوَّةُ قُوَّتِهَا الْقَاهِرَةَ
وَيَأْوِي السَّلامُ إِلَى ظِلِّهِ

يَقِي وَالْحَانَ رِياضِ السَّنْبَاطِي، وَغَنَاءُ أُمِ كَلْثُومِ

فيحمي السلام ويرعى الدِّمَامَ
سلامً على الجيش في يومِهِ
وفي كلِّ يومٍ عليه سلامٌ

* * *

مشى المجدُّ في يومه المرتقب
تَعَطَّرُ واديكَ أمجادُهُ وتَخَطَّرُ باليُمَنِ أعيادُهُ
وتَحْمِي العروبةُ أجنادُهُ
إذا جَرَّدَ السيفَ مَنْ جَرَّدَا أَدَارُوا عليه كؤوس الرَّدَى
وَرَدُّوهُ يعثرُ في ظُلُمِهِ
وقد لَبَسَ الصُّبْحُ وَجْهَ الظلامِ
سلامً على الجيش في يومِهِ
وفي كلِّ يومٍ عليه سلامٌ

* * *

مشى المجد في يومه المرتقب

* * *

سَلُّوا عَيْنَ جالوتَ عن أَمْسِهِ سلُّوا أرضَ سيناءَ عن بَاسِهِ
إذا صَرَخَ الهَوَلُ عن نَفْسِهِ
وكَبِّرَ للموتِ مَنْ كَبَّرَا وناذَى إلى الله أَسَدَ الشُّرَى
كذلك جيشُكَ في عَزْمِهِ

دماة حلال وأرض حرام
سلام على الجيش في يومه
وفي كل يوم عليه سلام



كأني حين أنفُسُها دحاناً
وأغرقُ في سحابتها سحابي
أحيلُ قليلَ أيامي بخوراً
وأعقدهُ على هذا الضبابِ

سِجَارَتِي

مُعَلَّلَةٌ كَأَنَّ النَّارَ فِيهَا
دَيْبُ الْيَأْسِ يَصْرُخُ فِي إِهَابِي
وَأَحْسَبُ أَنَّنِي أَشْعَلْتُ فِيهَا
بَقَايَا مَهْجَتِي دُونَ الثُّقَابِ
تُخَدِّرُ مِنْ هُمُومِكَ وَهِيَ هَمٌّ
وَتُورِدُكَ الْمَعَاطِبَ كَالرَّغَابِ
وَتُنْسِيكَ اللَّيَالِي وَهِيَ ذَكَرٌ
مِنَ النِّسْيَانِ مُلْتَطَمُ الْعُجَابِ
كَأَنِّي حِينَ أَنْفُتُهَا دَخَانًا
وَأَغْرَقُ فِي سَحَابَتِهَا سَحَابِي
أَحِيلُ قَلِيلَ أَيَّامِي بِخُورٍ
وَأَعْقِدُهُ عَلَى هَذَا الضُّبَابِ

وأشعرُ حينَ تَخْبُو أنَ نفسي
شعاعُ في يدِ الأقدارِ خابي

* * *

مُصاحبتِي وأنتِ حُطامُ نفسي
متى كانَ العدوُّ منَ الصحابِ
إذا ازْفَضُ النديُّ وبِثَّ وحدي
وطالَ الليلُ بي وخلا وطايي
هربتُ لها على عِلْمي بأنِي
أَفِرُّ منَ العذابِ إلى العذابِ



عَهْدُهُ الْوَثِيقُ وَاحِدَةُ النِّجَاةِ
أَوَّلُ الطَّرِيقِ هُوَ مَتْنُهَا

عَرُوسُ السَّمَاءِ (١)

أوقدوا الشُّمُوسَ أنقروا الدُّفُوفَ
مركبُ العروسِ في السُّما يطوفُ
والمنى قُطُوفُ
أنقروا الدفوف

* * *

الرُّضَا والثُّور والصُّبايا الحُورُ
والهوى يَدُورُ
آن للغريب أن يرى حماة
يومُهُ القريب شاطئ الحياه

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي وغناء أم كلثوم

وَالْمَنَى قُطُوفُ
فِي السَّمَاءِ تَطُوفُ
أَنْقُرُوا الدُّفُوفُ

* * *

يا حبيبَ الرُّوحِ تائهٌ مجروحٌ
كلُّه جروحٌ
لائدٌ بالبَابِ شَوْقُهُ دعاءُ
والرِّضَا رِجَابٌ يَشْمَلُ العُفَاةُ
وَالْمَنَى قُطُوفُ
فِي السَّمَاءِ تَطُوفُ
أَنْقُرُوا الدُّفُوفُ

* * *

طافَ بِالسَّلَامِ طَائِفُ السَّلَامِ
يُوقِظُ النَّيَامَ
عَهْدُهُ الْوَثِيقُ وَاحِدُ النُّجَاةِ
أَوَّلُ الطَّرِيقِ هُوَ مُنْتَهَاةُ
وَالْمَنَى قُطُوفُ
فِي السَّمَاءِ تَطُوفُ
أَنْقُرُوا الدُّفُوفُ

* * *



إذا كان قولُ الحقِّ جَهْدَ دُعَاتِهِ
فَفَعَلْكَهُ لَا شَكَّ أُخْرَى وَأَجْهَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعليه
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

كلمةُ وفاء

ألقى في الحفل الذي أقيم بدار الأوبرا عام
١٩٤٦ تكريماً للصدیق الراحل أبي الشعراء
إبراهيم دسوقي أباطة

على أيّ فرعٍ من معانيك أنشدُ
لقد حَنُّ للشُّذُو الهتوفُ المغرُدُ
وطابَ له لحنٌ جديدٌ سقى به
ندامي معانٍ فيك تدنو وتبعدُ
صحا الشعرُ في محرابها هَمَسَ نغمةً
تظللُ بنفس السَّامعيها تَرَدُّدُ
بَدَتْ في كهوفِ النفسِ معنىً مُخلِّقاً
له في كهوفِ النفسِ نارٌ ومعبدُ

تَطِيفُ شَوَادِيهِ كَأَحْلَامِ شَاعِرٍ
لَهُ فِي ضَفَافِ الْفَنِّ مَغْنًى وَمَعْهَدُ
سَعَى لَكَ مَنُغُومَ الْبِرَاعَةِ شَادِيَاً
يُرْتَلُّ أَلْحَانَ الْوَفَاءِ وَيَنْشُدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَنْبَتُهُ وَسَقَيْتُهُ
فَهَا أَنْتِ تَجْنِي مَا زَرَعْتَ وَتَحْصُدُ
مِنَ الْأَدَبِ الْمَطْبُوعِ صُغْبَ مَنْوَنِهِ
وَرُحْتَ تَرْكِيهِ وَتُوحِي وَتَرْشُدُ
فَسَارَ يَجُوبُ الدَّهْرَ تَسْقِي لِحُونَهُ
مَلَا حِنْ مَنْ غَنُّوا بِهِ ثُمَّ أَلْهَدُوا
فَأَيَّ أَيَادِيكَ الْكَرِيمَةِ إِنَّهَا
لِكُلِّ مَعَانِيهِ الْكَرِيمَةِ مُورِدُ
وَأَيَّ مَعَانِيكَ الرَّفِيعَةِ إِنَّهَا
لَأَفَاقِهِ الْعُلْيَا سَبِيلٌ وَمَقْصَدُ

* * *

تَزَا حَمَتِ الْأَصْوَاءِ حَوْلَ خَوَاطِرِي
وَتَرْجَمُهَا حُبٌّ قَدِيمٌ مُجَدِّدُ
أَلَسْتُ الْفَتَى تُرْجَى يَدَاهُ. وَيُتَقَى
كَمَا يُتَقَى السَّيْبُ الْهَنُونُ وَيُقْصَدُ

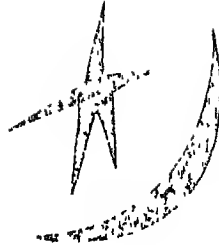
وَبَيْتُكَ فِيهِ لِلْفَنُونِ مَثَابَةٌ
 فَكُلُّ أَدِيبٍ فِي حِمَاكَ مُحَسَّدٌ
 وَمَنْ لَكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي هُوَ كَعْبَةٌ
 يُصَلِّي بِهَا شَعْرٌ، وَعِلْمٌ، وَمَحْتَدٌ
 دَسُوقِي وَلَا مَنْ؟ وَكَيْفَ إِذَا انْبَرْتُ
 لِمَصْرِ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ تُرْعِدُ
 لَهُ غَضَبَةُ الْأَحْرَارِ تَنْضَحُ عِزَّةً
 إِذَا زَايَلَ الْأَغْرَارَ ذَاكَ التَّجَلُّدُ
 وَلَيْسَ الدَّسُوقِي وَاحِداً بَيْنَ قَوْمِهِ
 وَلَكِنَّهُ جَيْشٌ وَرَأْيٌ مُؤَيَّدٌ
 وَإِنْ شَجَاعاً مَنْ يَشْقُ بِرَأْيِهِ
 طَرِيقاً عَلَى شَوْكِ الْخُصُومَةِ يُمَهِّدُ
 وَمَنْ كَانَ لَا يَرْضَى بِيَسْطِ يَمِينِهِ
 وَلَوْ كَانَ فِيهَا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
 كَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ رَأياً مُجَرِّداً
 وَأَشْرَفُ مَا فِي النَّفْسِ رَأْيٌ مُجَرَّدٌ
 مِنَ الصَّيْدِ شَبَّ الْمَجْدُ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ
 فَكُلُّ فَتَى قَدْ الْمَجَادَةِ أَضْيَدُ
 مَسَامِيحُ وَضَّاحُونَ. لِلثُّبُلِ مِنْهُمْ
 بِكُلِّ سَمَاءٍ فِي الْكِنَانَةِ فَرْقَدُ

وَشَتَّانَ بَيْنَ الْمَجْدِ طَبْعٌ وَمَحْتَدٌ
أَصِيلٌ وَبَيْنَ الْمَجْدِ شَيْءٌ مُقَلَّدٌ

* * *

على أيِّ فرعٍ من معانيك أنشدُ
وفي أيِّ بيتٍ من مزاياك أخلدُ
وفيكَ لمنهومِ الخيالِ عوالمُ
من الواقعِ الملموسِ أقوى وأبعدُ
وتاريخُك الموصولُ تاريخُ نهضةٍ
يُسجِّلُها جيلٌ من العزمِ أيَّدُ
تُصاوِلُ بالرأيِ الخصومَ وربما
أصابَ الحجا ما لم يُصِبه المهنَّدُ
بلاءُ الجهادِ المرُّ في زحمة الدُّجى
وفي الناسِ أصنامٌ تَفِضِلُ وتُعَبِّدُ
إذا كان قولُ الحقِّ جَهْدَ دَعَاتِهِ
فَفَعَّلَكَهُ لَا شَكَّ أُخْرَى وَأَجْهَدُ
وإنَّ صلاحَ الحكمِ تفسدُهُ يَدُ
كما أن سوءَ الحكمِ تُصلِّحُهُ يَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعله
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

وما كنت تزهو أن تنالك رتبة
وأنت عن الألقاب تغنى وترهّد
وفي الناس من تعلو المناصب باسمه
وفي الناس من يعلو عليها ويصعد



نحن في عالمٍ تَحْيَقُّهُ الشكُّ وضلَّ الصواب فيه الصوابا
أمةٌ تنشُدُ السلامَ فما بال حمام السلام أمسى غرابا

أَلْحَانٌ ثَائِرَةٌ

مهداة للصديق المناضل القديم محمود فهمي
النقراشي عندما طار إلى نيويورك عام ١٩٤٧
ليخاصم الاحتلال البريطاني إلى مجلس الأمن
ويقول للانجليز أخرجوا من بلادنا

أَلْقِ عَنْ وَجْهِهَا الْغَضُوبِ النَّقَابَا
لَا تُخَاصِمِ إِلَى الذَّنَابِ الذَّنَابَا .
أَمِرَ الْأَمْرُ فَادْرِعْهُمْ شِيوْخًا عَاقِرُوا الصَّبْرَ وَادْرِعْهُمْ شَبَابَا
وَأِدِرْ لَحْنَكَ الَّذِي أَيْقَظُ الثُّورَةَ وَأُخْمِرُ فِي صَهْدِهِ الْأَعْصَابَا
نَحْنُ فِي عَالَمٍ تَحَيَّفُهُ الشُّكُّ وَضَلَّ الصَّوَابُ فِيهِ الصَّوَابَا
أُمَّةٌ تَنْشُدُ السَّلَامَ فَمَا بَالُ حَمَامِ السَّلَامِ أَمْسَى غَرَابَا . .
أَيُّ أَمْثُولَةٍ أَصَمَّ بِهَا الدَّاعِي وَإِنْ هَاجَ ثَائِرِينَ غَضَابَا

معبدٌ صَوَّرَ العدالةَ في الأرضِ إلهاً والأَمَنَ فيها نصاباً
ما لرهبانِهِ العجائزِ كانوا أوَّلَ الملحدين لَمَّا أهابا
ما لألحانِهِ الجميلةِ باتت فوقِ اطلاله بُكاً ونُعاباً
إنما نحنُ أمةٌ تَعْلِكُ الحَقْدَ فما بالُنَا نَعافُ اللُّهاباً
وإذا الحقُّ لم يصادِفْ سميعاً. أوشك الحقُّ أَنْ يَحُولَ احْتِرَاباً

* * *

ليس في شِرْعَةِ الطواغيتِ غَيْرُ النارِ رَبّاً وَغَيْرُها محراباً
والذي يطلبُ الحياةَ سلاماً كالذي يطلبُ الحياةَ سَراباً
ذلٌّ مَنْ يركبُ الرُّجاءَ وفي كفيه ظُفْرٌ يذودُ.. ذلٌّ رخاباً



لا تختصم يوماً إلى حكمٍ غير الظبا واضرب كما ضربوا
أضرب بغير الهاتفين فقد أودى بقومي الفقه والخُطبُ

إِضْرَبْ بِغَيْرِ الْهَاتِفِينَ

في استقبال قواتنا التي كانت محاصرة
بالبالوجه في حرب ١٩٤٨

وَتَنَفَّسَتْ فِي نَارِهَا الثُّوبُ	ضَجَّ الْحَدِيدُ وَأَعْوَلَ اللَّهَبُ
يَوْمًا عَزَائِمُهُمْ وَمَا تَعَبُوا	وَاسْتَعَصَمَ الْأَبْطَالُ مَا تَعَبَتْ
وَتَرَاشَقَتْ بِأَوَارِهَا الشُّهُبُ	فِي مَوْقِفِ جُنِّ اللَّهَابِ بِهِ
مَنْ كَابَدُوا الْأَهْوَالَ وَاعْتَرَبُوا	وَالْمَوْتُ أَيْسَرُ مَا يَكَابِدُهُ
ضَرْبٌ ، وَلَوْ كَانَ الرَّدَى ضَرَبُوا	صَبْرٌ . وَلَوْ كَانَ اللَّظَى صَبَرُوا
الظَّامِثُونَ مِنَ الدِّمَا شَرَبُوا	الْجَائِعُونَ مِنَ الْعِدَا أَكَلُوا
هُوجَاءَ يَحْجُمُ عِنْدَهَا الرُّهْبُ	وَالرَّاكِبُونَ لِكُلِّ رَاعِبَةٍ
يَوْمٌ كَيَوْمِ الْحَشْرِ مُرْتَهَبُ	فِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يَفْجُوهُمْ
وَالرُّعْبُ فِي الْأَخْلَادِ يَضْطَرِبُ	فَالْجَوْنَارُ ، وَالْثَرَى جُثَّتْ

صبروا وصوتُ النارِ حشرجةٌ واستبسّلوا والموتُ يقتربُ
في موقفٍ ضئِكِ تفورُ به أهوالُها والموتُ ينسربُ
وكانهم بحرٌ يموجُ لظى وكانما أعداؤهم حَبَبُ

* * *

وعلى الأساويدِ أسودٌ لَجِبُ هو وحده جيشٌ بها لَجِبُ
حاقَّتْ به البلوى فقال لها فَوَزُ الكِماةِ الغلبُ يُغْتَصَبُ
إني أنا (الضَّبْعُ) الذي عرفوا والضيغمُ العادي الذي رهبوا
قالوا الحصارُ فقلت لو عرفوا عَقْبَهُ لم يُمَهِّلَهُمُ الهَرَبُ
لرجالي الأبطالِ ما جمعوا ولناري الحمراءِ ما جلبوا
لم تُبْنَ أحجاراً معاقلنا أحجارُهُنَّ الصبرُ والغلبُ
واستمطر الموتُ الزوَامَ على هاماتهم فكأنه سُحْبُ
وصحَّتْ بمصر مجادةٌ سَلَفَتْ وزها حماها الكبر والعَجَبُ
فكان كل قذيفةٍ مَرَقَتْ بلدٌ يقومُ وأمةٌ تَشِبُ

* * *

لم أنسَ عودته وقد حُشِدَتْ عصيٌ تضجُ وراءها عُصَبُ
يستقبلون أشمٌ ما شهدتُ نِدًا له الأجيالُ والحِقَبُ
نثروا عليه الوردَ ما عرفوا كم شوكةٍ بدماءِ تختضبُ
أفضى إليه بسرهِ الرَّهَبُ واقتاتَ مِنْ عزماته اللَّهَبُ
واستلهمَ التاريخُ وَثْبَتَهُ والحرُّ إن خَاشَتَهُ يَثِبُ
ياخولها حرباً يمدُّ لها ظلمُ العبيدِ البيضِ والكذبُ

كانت حديداً كالحأ ولظى
لا تختصم يوماً إلى حاكم
إضرب بغير الهاتفين فقد
ليس الجهاد إظام نائحة
واليوم يعلن حربهُ الذهب
غير الظبا واضرب كما ضربوا
أودى بقومي الفقه والخطب
إن الجهاد الحرب والحرب

* * *

يا مارد الجيش الذي أنبعث
يا قصة النيل التي كتبت
جرح الكنانة بيننا رجم
وصححت على صرخاته العرب
أسطارها الآلام والثوب
والثأر بين طلابه نسب



بُكَائِيَّاتُ



أيهذا النديمُ أفرغُ كاسي قد تولَّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلَاءُ العُمُرِ يا نديمُ فدعني لا تكن قاسياً كبعض الناسِ

وَرَاءَ الرَّاحِلِينَ

قلْتُ للكَاسِ والليالي غَرِيمي . أين يا كاسُ كَرَمَتي ونعيمي
جَمَعَ اللَّيْلُ شاربِها فما لي لا أرى بين شاربِها نديمي
فاجابَتْ مَنْ اخْتَكَمَ
لليالي فقد حَكَمَ

* * *

والليالي تسيرُ خَلْفَ الليالي حَامِلَاتِ حَقَائِبِ الأَجَالِ
نائِمُ القلبِ غافلٌ لا يراها أو يراها لكنه لا يبالي
آه لو يفهمُ الألمُ
آه لو يعرفُ النَّدَمُ

أيُّهَذَا النَّدِيمُ أَفْرِغْ كاسِي قد تَوَلَّى زَمَانُ تلكِ الكاسِ
كَلَّا العُمُرُ يا نَدِيمُ فَدَعْنِي لا تَكُنْ قاسِيًا كِبْعُضِ الناسِ

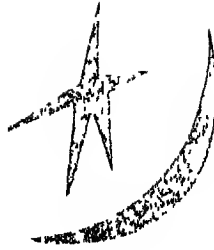


ولو كان جُرح الجسم هانَ احتمالُهُ
ولكنه جرحٌ تكابُدُهُ النفسُ
فوارحمنا للقلب كيف اصطبارُهُ
وآهِ على عهدٍ تولَّى به الأَمْسُ

رُؤَيْدُكَ يَا عَيْنِي

أَقُولُ وَقَدْ ضَاقَتْ بِحَاجَتِهَا النَّفْسُ
رُؤَيْدُكَ يَا عَيْنِي فَقَدْ فَاضَتْ الكَأْسُ
رَأَيْتُ اللَّيَالِي آسِيَاتٍ جَوَارِحاً
فَمَا لِلَّيَالِينَا تُصِيبُ وَلَا تَأْسُو
وَلَوْ كَانَ جَرَحَ الْجَسْمِ هَانَ احْتِمَالُهُ
وَلَكِنَّهُ جَرَحُ تَكَابُذِ النَّفْسِ
فَوَارِحَتَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اصْطَبَارُهُ
وَأَوْ عَلَى عَهْدِ تَوَلَّى بِهِ الْأَمْسُ
وَأَوْ عَلَى مَنْ لَا يَسْرَانِي وَلَا أَرَى
سِوَاهُ . وَمَنْ يَحْنُو عَلَيَّ وَلَا يَقْسُو
لَقَدْ حَالَ صَفْوُ الْعَيْشِ بَعْدَ رَجِيلِهِ
وَأَصْبَحْتُ وَحْدِي لَا أُنِيسُ وَلَا أُنْسُ

وإنَّ جِدَارَ الصَّمْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
لَشَيْءٌ رَهِيْبٌ لَا يُحِيطُ بِهِ حَدْسُ
وإنَّ سِتَارَ الْمَوْتِ دُونِي وَدُونَهُ
لَكَالْلَّيْلِ إِذْ يَغْشَى جَوَانِبَهُ الْيَأْسُ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ حِينَ قَضَى بِمَا
قَضَاهُ طَوَانِي فَاحْتَوَانَا مَعاً رَمْسُ



ربوعُ بها ألقى الربيعُ رحالَهُ
وطابَ له فيها ضحىٌ وأصيلُ
نُحسٍ كأنَّ الظلَّ فيهنَّ نسمةٌ
وكلُّ نسيمٍ فوقهنَّ ظليلُ

حَنِينٌ

أَلَا هَلْ لَوَادِي الرُّاحِلِينَ سَبِيلُ
أَلَيْسَ لِلنَّيْلِ الْحَائِرِينَ دَلِيلُ
تَنَاءَتْ بَنَاءُ الدُّنْيَا وَحَالَتْ عَهْدُهَا
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّهَا سَتَحُولُ
صَبَايَ . وَأَيَّامِي . دِيَارُ أَحْبَتِي
وَلَانِي إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ أَمِيلُ
فَكُلُّ مَكَانٍ غَيْرِهَا دَارُ غَرْبَةٍ
وَكُلُّ زَمَانٍ بَعْدَهُنَّ فَضُولُ
رَبْرُوعٌ بِهَا أَلْقَى الرِّيبُوعُ رَحَالَهُ
وَطَابَ لَهُ فِيهَا ضُحَى وَأَصِيلُ
تُحْسُ كَأَنَّ الظِّلَّ فِيهِنَّ نَسْمَةٌ
وَكُلُّ نَسِيمٍ فَوْقَهُنَّ ظَلِيلُ

أَجِنُّ لَوَادِي الرَّاحِلِينَ وَمَنْ بِهِ
وَقَلْبِي بِوَادِي الرَّاحِلِينَ عَلِيلُ
يُطَالِعَنِي وَاللَّيْلُ يَمْتَدُّ بَيْنَنَا
فَأَشْجَى وَلَيْلُ الْحَائِرِينَ طَوِيلُ
تَرَكْتُ بِهِ أَحْلَامَ قَلْبِي.. تَرَكْتُهَا
وَبِي مِنْ جَوَاهِرَ حَيْرَةٍ وَذَهْوُلُ
مَتَى تَجْمَعُ الْأَيَّامُ شَمْلِي وَشَمْلَهُمْ
وَيَسْكُتُ دَاعٍ فِي الضُّلُوعِ يَقُولُ
أَلَا هَلْ لَوَادِي الرَّاحِلِينَ سَبِيلُ



لقد كنتَ ظِلًّا أَفِيءُ إِلَيْهِ
وَأَهْرُبُ مِنْ يَوْمِي الْمُرْهَقِ
وكنتَ قصيدا جديدا الرؤى
شجيا معانيه لم تُطْرَقِ

دُمُوعٌ لَا تَحْفَ

إلى روح زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها

أتى العيدُ (نازلي) ولم نلتقِ
وغامتُ سمائي فلم تُشرقِ
أتى العيدُ يطرُقُ بابي فما
أجابَ سوى دمعي المُهرِقِ
أعيدُ وأنتِ بعيدُ هناكِ
تُقيمين تحت الثرى المُطْبِقِ
وكيف وقد شاءَ وَجْهُ الحياةِ
بعميني وبأثث بلا رونقِ

أَعِيدَ يُلِمُ بِنَا سَاقِيَا
بِكَاسِ الْمَسْرَةِ مَنْ يَسْتَقِي
وَكَيْفَ وَقَدْ أَوْحَشَ الْبَيْتُ مِنْكَ
وَأَقْفَرَ مِنْ أَنْسِهِ الْمَشْرِقِ

* * *

لَقَدْ كُنْتَ ظِلًّا أَفِيءٌ إِلَيْهِ
وَأَهْرُبُ مِنْ يَوْمِي الْمُرْهَقِ
وَقَدْ كُنْتَ أَمْنًا لِرُوحِي مِمَّا
أَخَافُ أَذَاهُ وَمَا أَتَقَى
وَقَدْ كُنْتَ قَلْبًا كَبِيرَ الْمُنَى
لِغَيْرِ الْمَحَبَةِ لَمْ يُخْلَقِ
وَقَدْ كُنْتَ رَوْضًا. تُخَايِلُ عَيْنِي
مَخِيلٌ مِنْ حُسْنِهِ الرِّيقِ
وَكُنْتَ هَتُوفًا تُنَاغِمُ سَمْعِي
بِلَحْنٍ مِنَ الْخُلْدِ لَمْ يُسَبِّقِ
وَكُنْتَ قَصِيدًا جَدِيدَ الرُّؤْيِ
شَجِيًّا مَعَانِيهِ لَمْ تُنْطَرَقِ
وَكُنْتَ وَكُنْتَ وَكَانَتْ لَنَا
عَوَالِمٌ مِنْ رَوْحِكَ الْمُغْدِقِ

مضى كلُّ هذا ولم يَتَوَّ لي
سوى ذكرياتِ الأسي المُوَبِّقِ
فيها لهفَ نفسي ماذا مضى
ويا لهفَ نفسي ماذا بَقِيَ



أبكي على أيامنا القِصارَ
وأنتِ يا حُزني غريبةُ الديارِ
بعيدةٌ بالرغمِ من قُربِ المَزارِ

دُمُوعٌ لَا تَجْفُ

٢

لَا يَقْرُ لي قَرَارُ
زُني غَريبةُ الدِيَارِ
نَم مِن قُربِ المَزارِ
يَا لَا أَرَاكَ
أرى سِوَاكَ
نِيا كَمَا نَخْتَارُ
نَا جَنَى يُشْتَارُ
عُطَارُ
لأَطْيَارُ
زَهَارُ
جَري لَنَا

وكيف مالت الليالي بنا
فبدلت أحوالنا
وبددت أحلامنا
وصيرتني دائم الأواز
في ليلة ليس لها نهار
أبكي على أيامنا القصار
وأنت يا حزني غريبة الديار
بعيدة بالرغم من قرب المزار

* * *

يا نسمة الفجر التي نشقتُها
يا جنة الحب التي غرستُها
يا نعمة الله التي فقدتُها
ورحلت بعدها أعاتب الزمان
ولا عتاب للزمان
فهذه حكومة الأقدار
وليس لي في ذلك اختيار
ولا اضطبار
وأنت خلف هذه الأحجار
في عالم الأسرار
بعيدة بالرغم من قرب المزار



وسألت عن سرِّ الحياةِ
وهالني أني ضللتُ
وأنني في تيهٍ
ونظرتُ للدنيا وما تعنيه
وأزلتُ صبغَ حدودها
فتكشفتُ عن منظرٍ تحت الصَّبَاغِ كَرِيهِ

دَمْعَةٌ وَفَاءٌ

مهداة إلى الصديق الراحل الأستاذ الشيخ
محمد عمر.

ما كنتُ أحسبُ أنني أرثيه
فرثيتهُ

أو أنني يومَ النوى أبكيه
فبكيتهُ

وذكرتُ أحلامَ الصُّبا فذكرتهُ
وذكرتُ أيامي غُداً لقيتهُ
وألقيتهُ

أيامَ كانَ . .

وكنْتُ فيما كُنْتُه

والمعهد الديني في دمياط .
محراب الأديب وبيته
ولجامع البحر العتيدي مكانه وزمانه
إذ كان هذا وقته

* * *

في ذلك العهد العهيد عرفتُ
ووجدتُ نفسي فيه حين وجدته
وجلسْتُ منه مجلس التلميذ من أستاذه
وحَضَرْتُه
وسمعتُ
وسمعتُ عنه وقلْتُ فيه ورُزْتُه
وشربتُ مِنْ رَأْووقِهِ وسقيتهُ
ما زال في سمعي يُجلجلُ صوتهُ
ما زال في عيني بهاءُ وسمتهُ
والشيخُ في الكشمير يلمعُ كالسَّنا
ويكادُ ينطقُ بالبشاشةِ صمتهُ
والبسمَةُ البيضاءُ تغسلُ وجهَهُ
وتضيءُ في عَينيهِ
وتكادُ تُومي بالودادِ إليهِ
وكانها ردُّ السلامِ عليهِ

* * *

ولطالما عَبَّ الشَّبَابُ ..

وطالما عَابَتْهُ

وعلى بَسَاطِ اللّهُو كَمْ سَاقَتْهُ

فلنا حَدِيثُ ضَاحِكٍ لَا يَنْتَهِي

لولا جَلَالُ المَوْتِ كُنْتُ ذَكَرْتُهُ

* * *

وَتَفَرَّقْتُ سَبْلُ الحَيَاةِ بِنَا

وَنَادَى كُلُّ حَيٍّ قُوَّتُهُ

وَتَبَاعَدْتُ أَيَّامُنَا

وَتَرَكْتُ عَهْدَ فُتُوْتِي

وَتَرَكْتُهُ

وَقَطَعْتُ أَسْبَابَ التَّرْسُلِ بَيْنَنَا

حَتَّى دَعَانِي نَعْيُهُ فَأَجَبْتُهُ

وَبِكَيْتُهُ

وَبِكَيْتُ نَفْسِي فِيهِ

وَرَأَيْتُ مَا فَعَلَ الرَّدَى بِبَنِيهِ

وَالْمَوْتُ يُنْقِضُ كُلَّ مَا نَبَّيْهِ

وَسَأَلْتُ عَنْ سِرِّ الحَيَاةِ ..

وَهَالَنِي أَنِّي ضَلَلْتُ وَأَنَّنِي فِي تِيهِ

وَنَظَرْتُ لِلدُّنْيَا وَمَا تَعْنِيهِ

وَأَزَلْتُ صَبْنِغَ خُدُودِهَا .
فَتَكَشَفْتُ عَنْ مَنْظَرٍ تَحْتَ الصَّبَاغِ كَرِيهِ
بِخْدَاعِهَا تُخْفِيهِ
وَاهَا عَجُوزَ النَّحْسِ . .
مَاذَا يَرْتَجِي مِنْكَ الْعَدِيمُ
وَمَا الَّذِي يَجْنِيهِ

* * *

وَلَقَدْ تَنَاسَيْتُ الْمُنُونَ . .
فَرَدَّنِي لِلْمَوْتِ نَاعٍ جَاءَنِي يَبْكِيهِ
أَوْدَى مُحَمَّدٌ وَانْطَوَتْ أَيَامُنَا
وَأَتَيْتُ أَنْشُرُ بَعْضَ مَا تَطْوِيهِ
وَأَقُولُ فِيهِ شَهَادَةً تُرْضِيهِ
مَا مَبْلَغُ الْعِرْفَانِ مِنْ تَلْمِيذِهِ . .
وَصَدِيقِهِ وَأَخِيهِ
رَحِمَ الْإِلَهُ مُحَمَّدًا
وَجَزَاهُ عَنَا خَيْرَ مَا يَجْزِيهِ
وَأَثَابَنَا فِيهِ
وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ لِذَوِيهِ

شكر ودموع

إلى الشاعر الملحمي الاستاذ كامل أمين رداً
على قصيدة تمزية.

جَدَّدْتَ أَلَاماً ذَهَبْنَ بِسَائِرِي^(١)
وَأَعَدَّتْ لِي أَشْجَانِ أَمْسِ الدُّائِرِ
يَا مَنْ يُكَلِّفُنِي مَرَاجِبَ وَدُّهِ
مَاذَا صَنَعْتَ بِعَالَمِي وَخَوَاطِرِي
وَاسَيِّئَتِي فَتَكَاتَ جُرْحاً غَائِراً
تَعْتَادُهُ أَسْبَابُ شَجَرِ غَائِرِ
وَأَنَا امْرُؤٌ عَرَفَ الْكَآبَةَ شَيْئُهُ
ثَمناً لِسَالِفَةِ الشَّبَابِ الْبَاكِرِ

(١) سائر الشيء: بقيته

أيامَ كنتُ وكانت الدنيا على
 عِلاتِها أفراحَ شوقٍ غامرِ
 والآنَ قد بعدتُ ديارَ أحبتي
 ونأى مازارُهُمُو لأقربِ زائرِ
 تَهْتَاجُني الذكرى وتُشجِني النوى
 وتَنالُ مِن صَبْري فلستُ بصابرِ

المحتويات

الصفحة

٧ مقدمة
٩ راهب الليل
١٥ ميلاد شاعر
٢٣ في حانة سيد درويش
٢٩ في انتظار الفجر
٣٥ رجعة إلى موسى
٤١ لحن قديم
٤٥ محمود حسن إسماعيل في ذكره الرابعة
٤٩ وراء خطى الليل
٥٧ هلال المحرم
٦٣ طاعة المعصية
٦٧ لغيرك ما مددت يداً
٧١ حانة الأقدار
٧٧ يقولون لي غني
٨١ في بحار الندم
٨٥ صحبة الراح

الصفحة

٨٩	أحبك حين
٩٣	كنت معلماً
١٠١	شاعر غريب
١٠٧	نشيد الجيش
١١٣	سيجارتني
١١٧	عروس السماء
١٢١	كلمة وفاء
١٢٩	ألحان ثائرة
١٣٣	إضراب بغير الهاتفين
١٣٧	بكائيات
١٤١	وراء الراحلين
١٤٥	رويدك يا عيني
١٤٩	حنين
١٥٣	دموع لا تبجف (١)
١٥٩	دموع لا تبجف (٢)
١٦٣	دمعة وفاء
١٦٧	شكرو دموع

مطابع الشروف

بيروت، ص.ب. ٨٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥٩٠١ - وفا، كاسرونة - تلکون SHOROK 20175 LB
القاهرة، ١٦ شارع ميتو حسي - هاتف ٧٧٤٨١٤ - موفيا، شروق - تلکون 93091 SHROK UN

